البيان

مجلة أدبية شهرية

تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين منذ عام 1966

العدد 662 - سبتمبر 2025

لوحة الغلاف : الفنان التشكيلي أحمد جوهر - الكويت

د.وليد الرجيب: المثقفون طليعة المجتمع.. والمؤشر الدقيق لمعضلاته

7-4

دلال نصرالله: قرأت 33 كتاباً لأتمكن من ترجمة كالڤينو

9-8

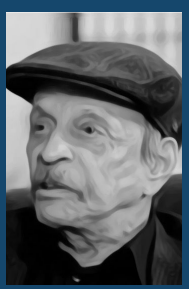

إسماعيل فهد وعلي السبتي.. رحلا ولم يغيبا

36

البيان
مجلة أدبية شهرية
تصدر عن رابطة الأدباء الكويتيين
منذ عام 1966
العدد 662 - سبتمبر 2025
صدر العدد الأول في أبريل 1966

رئيس التحرير:
حميدي حمود المطيري

سكرتير التحرير:
أفراح فهد الهندال

موقع رابطة الأدباء على الانترنت:
www.alrabeta.org

ثمن العدد:
دينار كويتي أو ما يعادله
من العملات الأخرى

المراسلات:
رئيس تحرير مجلة البيان
ص.ب: 34034 العديلية
الرمز البريدي 73251
هاتف المجلة: 0096522518286
هاتف الرابطة:
22510602 /22518282

البريد الإلكتروني:
Albayankw@hotmail.com

• المواد المنشورة تعبر عن رأي كتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

• تُقدّم إسهامات الكتّاب باسم رئيس التحرير مع السيرة الذاتية للكاتب المرفقة بمستند رسميّ يثبت صحتها بوسيط تخزين USB أو تُرسل إلى البريد الإلكتروني للمجلة.

• للمجلة الحق في نشر أو عدم نشر المواد الواردة إليها من دون ذكر الأسباب.

المحتويات

كلمة البيان
• رابطة الأدباء والانتخابات:
الإبداع لا يعرف توقيتاً 3

حوار
• د.وليد الرجيب: المثقفون طليعة المجتمع..
والمؤشر الدقيق لمعضلاته 7-4
• دلال النصرالله: قرأت 33 كتاباً لأتمكن
من ترجمة إيتالو كالفينو 9-8

استعادات
• غزو الكويت: قصة صمود بين الثقافة
والسياسة - خالد أحمد الطراح 11-10

تأبين
• رحيل شاهد عصر الهزائم والأحلام..
- حجاج سلامة 13-12

شعر
• للأقصى قدسٌ - إبراهيم محمد نصير 14
• عكاز في المقعد الأخير - عائشة العبدالله 15
• ربما لنا في الرحيل نجاة! - عائشة الفجري 15

سرد
• على مقعد الطائرة. – حمد الحمد 17-16
• زنجبيل - علي الصباح 18
• نباح المكتب. – حصة المطيري 19

رؤى
• أنثروبولوجيا السواد
- د. مشاعل عبدالعزيز الهاجري 20
• سعدالله ونوس كما عرفته!
- حسن م.يوسف 23-21

نقد
• بين ما قبل الليلة الألف وما بعدها..
أيها تختار؟ - فتحية الحداد 25-24
• المونولوج كأداة للكشف النفسي والروحي
في «سفر التبة» - شيماء الأطرم 26

دراسة
• شعرية البياض في القصيدة العربية الحديثة
- جواد عامر 29-27

ضوء
• «دوخي.. تقاسيم الصبا» تستحضر صاحب
النهمة الخالدة 31-30
• «الطواف حول النخلة»..
سيرة طفلٍ قرأ النهر 32

متابعات
35-33

إبداع
• إحداثيات «الذكرى» في الهواء الطلق 36

ضوء الذاكرة

«من الواضح أن أي شعب لا يستطيع أن يتحسس بأية قضية وطنية من قضايا الشعوب الأخرى إلّا إذا كان عارفاً بخباياها وأسبابها، وبما يجري في ذلك الشعب من أمور.

لذلك نرى الدول تبذل جهوداً كبيرة في نشر ما عندها من أفكار ومعارف وما يجري فيها من خدمة للإنسان في الناحية الصحية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية، ليبرهن للشعوب الأخرى على أنّه أهل للحرية والكرامة والاستقلال، وأنه أهل لمساعدة الشعوب الأخرى المحبّة للحرية، وكلما كانت الحرية معززة مكرمة استحق ذلك الشعب عطف الأمم الأخرى ومساعدتها، لأن الحرية والإنسانية إذا أهينت في أي بقعة من بقاع الأرض، فلا بُد أن تؤثر في جميع البقاع، لأن ذلك يعطي قوة للمستغلين والمستعمرين».

«الأدباء والمفكرون هم أولئك المخلصون للإنسانية والمتعشقون للحرية، وهم أولئك الذين ينصرون الحق ويجاهرون به، وهم الذين يحافظون على شرف الكلمة».

عبدالرزاق البصير

«القراءة والاطلاع الواسع يؤديان إلى تفتيح الأذهان المغلقة، وتنوير العقول المظلمة، وتطوير الأفكار الجامدة، والذين يظلون بعيدين عن معرفة ما يجري في هذا العالم؛ يظلون متمسكين بالتقاليد الموروثة وإن كانت تقاليد بالية، ويبقون متشبثين بالعادات القديمة وإن كانت عادات ضارة غير نافعة، ويستمرون متعصبين للتعاليم الدينية وإن كانت تعاليم الدين لا تدعو إلى التعصب».

عبدالله زكريا الأنصاري

«القصة بناء فنّي، والعروبة معنى وموقف، فالجمع - في عنوان واحد - بين الفن والموقف يستدعي جوانب متعددة، تصل - في بعض الأحيان - إلى حدّ التناقض، وأهم هذه التناقضات ما نعرفه من أن فن القصة في صورته الحديثة ازدهر وأخذ أهم سماته من طبائع التنوير وتحديث الحياة الاجتماعية، وقد أسس على ضوء الفلسفة الواقعية التي تفضّل الاهتمام بالواقع الماثل أو المشاهد، والجزئي، أكثر مما تهتم بالنظري والغيبي والكلي، وقد اقترن هذا بدرجات من الوعي بالحقوق بحقوق الطبقات والاهتمام بالحياة في حركتها المألوفة، وهذا كله يصل بفنّ القصة إلى ما نعرفه عنه من الارتباط القوي بالواقع الاجتماعي المحلي الذي ينتجه، وهو أمر ملحوظ في القصص التي أنتجتها الثقافات المختلفة، وثقافات اللغة الواحدة».

د. نسيمة راشد الغيث

رابطة الأدباء و«الانتخابات».. الإبداع لا يعرف توقيتاً

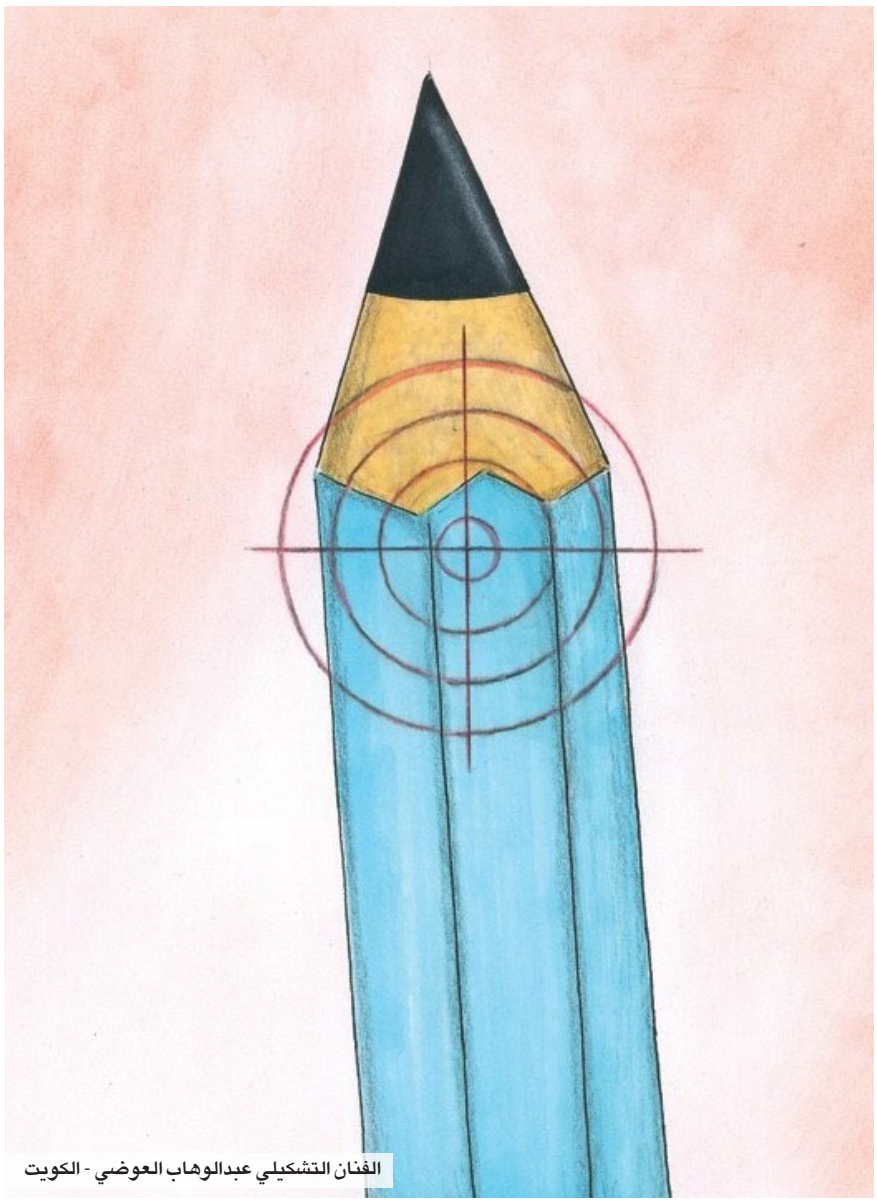

الفنان التشكيلي عبدالوهاب العوضي - الكويت

حين تدخل المؤسسات الثقافية في حالة سكون مرتبطة بنهاية البرامج الثقافية أو إجراء الانتخابات وتجديد هيكلها التنظيمي؛ يخيّل للبعض أن الثقافة نفسها تدخل في حالة توقّف، وهذا تصوّر مضلل، لأن الفعل الثقافي لا يساوي الأعمال الإدارية وحدها، وهنا يبرز دور المثقف والمبدع باعتبارهما «عناصر مقاومة» للتعطيل والركود؛ فهو لا يتعامل مع الثقافة بأسلوب بيروقراطي، وإنّما كحالةٍ حيوية طبيعية تعاند الفراغ، ففي غياب الفعاليات يبرز دوره، ويتحوّل الكاتب والشاعر والباحث إلى منتجين مستقلين عبر مبادراتهم ومشاركاتهم ودعمهم لكل إنجاز ونشاط، فالانتظار بالنسبة إليهم مساحة لإنتاج أفكار جديدة واختبار طرق أخرى للتواصل مع القارئ والجمهور، كي تبقى الثقافة متحركة، لا أسيرة إيقاع الجدول المقرر وحده، متجذّرة في وعي المجتمع وإرادة المبدعين أنفسهم.

من هنا؛ شدّد مجلس رابطة الأدباء الحالي على الحفاظ على وتيرة إنجازاته، والتي سبق أن استعرضنا فعالياتها للعامين الماضيين في عدد يونيو الماضي؛ بالحرص على انتظام صدور مجلة البيان بعد انتهاء الموسم، للدلالة على الالتزام بمسؤولياته والحضور الفاعل المتواصل، إذ لا يمكن أن تدفع فترة الإجازة الصيفية وانتظار تحديد موعد الانتخابات من قبل الجهات المسؤولة إلى انقطاع المسار الثقافي، لتظل «البيان» تمارس وظيفتها الجوهرية بوصفها وسيلة معرفية، وأداة تواصل تفاعلية وأرشيفاً حياً، إضافة إلى كونها عنواناً أصيلاً لعمل الرابطة ونشاطات أعضائها وإنجازاتهم.

في هذا العدد مجموعة من المواد المتنوعة التي تعكس الحالة الحية في المشهد الثقافي بالمتابعات ومشاركات المبدعين والكتّاب ودعمهم؛ حوار الروائي وليد الرجيب يكشف لنا تقنيات الكتابة وأساليب السرد، وإضاءات على إصداراته الحديثة، حيث يأخذ القارئ إلى عمق التفكير في بناء الشخصيات والحبكة، بينما تفتح المترجمة دلال النصرالله نافذة على آفاق الترجمة، مستعرضةً الإمكانيات في توسيع دائرة الأدب العربي عالميًا، إضافة إلى إضاءة حوارية على أحدث الإصدارات للروائي طالب الرفاعي، والتي شكّلت بنيتها السردية عالماً نابضاً وفاءً للفنان الكويتي الراحل عوض دوخي.

وتفاعلاً مع العدد السابق المخصص عن ذكرى غزو النظام العراقي لدولة الكويت؛ شارك الكاتب الصحافي خالد الطرّاح بسياق مختلف، عبر مقال ركّز على الجانب الثقافي خلال فترة الغزو، مستعرضاً ذكريات لم تسبق الإشارة إليها، كما تشارك الباحثة الأكاديمية د. مشاعل الهاجري، مترجمة كتاب آلان دونو الشهير «نظام التفاهة»، بمقال عن «أنثروبولوجيا السواد».

العدد يتضمن أيضاً نصوصاً سردية وشعرية، ومقالات أدبية ونقدية، وإضافة إلى ذلك، يحتوي على مراجعات للإصدارات الجديدة، ليكون القارئ على اطّلاع دائم على الحركة الثقافية.

ختاماً نُذكّر؛ مشاركاتكم هي الأساس الذي تستند عليه المجلة، كما أننا ما زلنا نناشد الجهات المسؤولة طلباً للدعم المؤسسي والمالي، وبانتظار الإعلان عن موعد الانتخابات «المُنتظر»، لأنها تبقى استحقاقاً راسخاً يمثّل لحظة تأسيسية لتجديد انطلاقة العمل الثقافي وبرامجه في رابطة الأدباء، وبما يمنحه قدرة على الصمود والتقدّم والتطوير والانتشار.

هيئة التحرير

من الذاكرة.. نستكمل الحوار إلى
«التوثيق التاريخي والنفسي وتقنيات السرد»

د.وليد الرجيب: المثقفون طليعة المجتمع.. والمؤشر الدقيق لمعضلاته

حوار: أفراح الهندال

في العدد السابق، خصصنا الحوار مع الروائي الكويتي وليد الرجيب للحديث عن رواية "طلقة في صدر الشمال" واستعادة ما يتعلّق بذكرى العدوان الغاشم على الكويت من شهادات وذاكرة جماعية.

ونواصل في الجزء الثاني حوارنا من زوايا أخرى، أكثر اتصالاً بجوانبها الفنية وتقنياتها السردية وعناصرها التركيبية، ليمتدّ الحديث عن الفِكَر والشكل والأسلوب، وعن اللغة بوصفها معمارًا، والحيل السردية التي تمنح النص حياة تتجاوز الواقعة التاريخية.

هنا، نفتح المجال للنقاش حول القضايا الشائكة التي تناولها في الكتابة، مهمة الكاتب، الرقابة وأشكالها، وكيف يواجه الكتّاب تحديات الكتابة في زمن تتشابك فيه الذاكرة مع المخيلة، والتاريخ مع الحاضر، والواقعي مع التجريبي، من خلال رواياته وإصداراته الحديثة، ومنها "أما بعد" و"الأفول الطويل"، و"أن تمَسّكَ الحماقة" وما سبقها.

● **ما الذي تشكّله الكتابة بالنسبة إليك؛ هل هي انعكاس لتفاعلك الذاتي مع قضايا المجتمع أم لتقلبات المجتمع نفسه؟**

- الكتابة بالنسبة إليّ حاجة، وليست مجرد رغبة، شعور أشبه بالعطش الذي يروى بالماء الزلال، ومن ناحية أخرى الرغبة الشديدة بمشاركة المتلقي حركة الواقع وتحولاته وقضايا المجتمع، وانعكاس هذه القضايا على الإنسان.

● **رواياتك ونصوصك القصصية تتّسم بالجرأة، وديناميكية سردية تحاور القارئ بحدة ومن دون مخاتلة.. كيف تصوغ هذه الحركة في النص تجاه القارئ؟**

- إن كانت هناك حدة أو جرأة، فهي بالتأكيد ليست مفتعلة، بل هي انعكاس لمتطلبات الحدث أو الخط الدرامي، فكل شيء في سلسلة الأحداث وطبائع الشخوص، هو ضمن سياق المضمون ومتطلبات الأدوات الفنية، وما يهمّني هو مشاركة القارئ الإيجابية، وتحريك حسّ التخييل لديه، ولذا لا أرتكن للسرد، بل للمَشاهد والتقطيع السينمائي، ويصل العمل إلى المتلقي بطاقة الصدق وليس الصنعة أو الفبركة.

● **لكننا نلاحظ تحوّل الكتابة من الواقعية النقدية المباشرة التي تسببت ببعض المشاكل مع الرقابة.. إلى الوصفية الأقرب إلى الكشف النفسي، هل يمكن أن ندرج هذا التغيير تكثيفاً في الأسلوب، أم هو حضور الرقيب الذاتي خلال الكتابة؟**

- في إنتاج الأعمال أحرص على تطوّر الأداة الفنية وتنويعها، بحيث لا عمل يشبه الآخر، فالواقعية النقدية ما زالت نهجاً أتمسّك به، حيث لا أدب من دون ربطه بالواقع، أو تعامل مع الواقع إعادة تشكيله، وهنا لا حاجة إلى الرقيب، إذ يكفي الرقيب الذاتي الواعي والمسؤول، فلن يعيش الرقيب إلى الأبد، بينما الأعمال الأدبية والفنون بأنواعها، تعيش أطول من أعمار البشر.

● **ماذا عن الحدّ أو "الخط الأحمر" لك في الكتابة، شخصياً لا رقابياً؟**

- أنا أنبذ الادّعاء والتصنّع في الكتابة، فالكتابة ليست أحرفا وكلمات وجملا فحسب، بل هي طاقة حب صادق ترسم لوحة ساحرة للحياة، يحمل معناه الذي يضيف للحياة ألوان الجمال وتروية للوعي الجاف، ودفقا شعوريا يعدي الآخرين ويصيبهم بنفس الشعور، وأنبذ أيضاً الابتذال بالجنس دون مسوّغ في المضمون والشكل الفني، وأيضاً لا أحب شخصنة الأدب والمقال، أو أدلجته قسراً وتحويله إلى منشور سياسي، والعكس أيضاً، لا أريد أن أرى فناً لمجرّد الفن، أي كلمات مبهمة لا يفهمها المتلقي ويتفاعل معها، فالغرض أن يفهم القارئ ويستمتع، وليس تحديه وتعذيبه وتعجيزه.

الوقائع التاريخية والكتابة

● **كُتبت "بدرية" خلال ظروف حل مجلس الأمة وتعليق العمل بالدستور سنة 1986؛ من ذاكرة عبقة بتفاصيل المكان وزمنٍ ماضٍ، وقد تلقّفها القراء في أنحاء الوطن العربي رغم منعها آنذاك في الكويت.. وسبق وقلت إن هذه الرواية "كسرت التابو".. فما الذي تحقّق بعد هذا الكسر؟**

- "بدرية" بعد كل هذه السنوات، وجدت مكانتها في التاريخ، ولن يستطيع أحد إلغاءها من الوجود أو من الضمائر، فهي تدرّس بالجامعات، وتُباع وتُقرأ وتنتشر وتمارس مكانتها وتأثيرها، وهذا شأن كل الأعمال الأدبية والفنية، حتى لو مُنعت فالواقع متحرّك والتقدم دائم، ولا يستطيع أحد محاربة التقدم الحتمي بمنجزاته العلمية، ولعل رواية بدرية بداية منع الأعمال الأدبية، بعدها

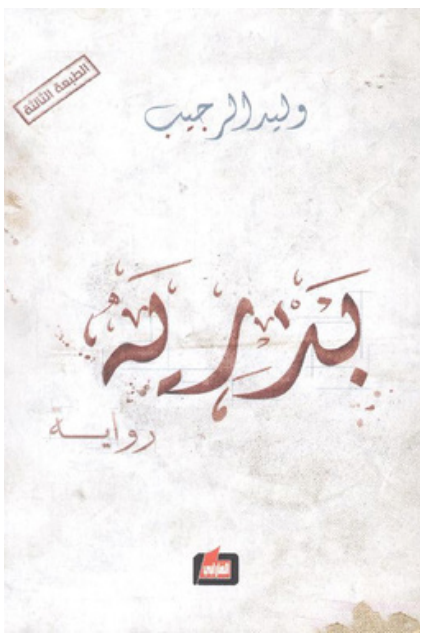

- تهمّني حركة الواقع وتحولاته وقضايا المجتمع، وانعكاس هذه القضايا على الإنسان.

- الواقعية النقدية لا تزال نهجاً أتمسك به.. حيث لا أدب دون ربطه بالواقع

- ليس من مهمة الروائي أو القاص أن يقدّم وعظاً أو خطاباً أبوياً

- «بدرية» وجدت مكانتها في التاريخ ولن يستطيع أحد إلغاءها من الضمائر أو الوجود

- «إيكاروس» عكست أثر الغزو العراقي على الكويت.. لكن باستخدام الأداة التاريخية المتخيلة

- أنبذ الادّعاء والتصنع في الكتابة.. فالغرض هو الوصول إلى القارئ لا تعذيبه وتحدّيه

- لا أحب شخصنة الأدب والمقال أو أدلجته قسراً وتحويله إلى منشور سياسي

- «أما بعد» كسرت تابو الحديث عن يهود الكويت.. و«أن تمسّك الحماقة» كشفٌ للمسكوت عنه

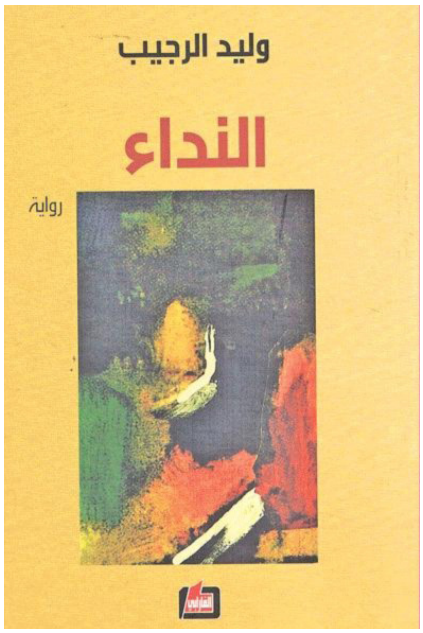

انتصر القضاء لكثير من الأعمال الأدبية.

وإذا أخذنا رواية "أما بعد"، فهي كسرت تابو الحديث عن يهود الكويت، ففي السابق كان من المحرّمات الحديث عنهم، وكأن هذه الفئة من المواطنين كانت غير موجودة، ولكن المنع كان اجتماعياً وليس رسمياً، وحدث مع تغيرات المشهد الثقافي في العقود الأخيرة، فالأمر متعلق بالواقع الثقافي والوعي.

● وكيف تعدّ مخططك للروايات المستندة إلى وقائع تاريخية؟

- الكتابة عن التاريخ؛ سواء كان الواقعي منه صادقاً أم كاذباً، أو كان التاريخ متخيلا والغرض هو خدمة الواقع، تتطلب فهم هذا التاريخ وإسقاطه على الواقع المعيش أو لخدمة قضية اجتماعية، وفي ظنّي أن أفضل طريقة لحفظ التاريخ عن طريق الفن والأدب من وجهة نظر المبدع، وليس من وجهة نظر المكتوب أو السائد والمتعارف عليه.

● اليهود بالكويت في "أما بعد"، وقوات الإسكندر في "إيكاروس" استحضار لمراحل قديمة، بغية الوصول إلى جماليات خيالية في تلك الفترات أم رغبة في بلوغ بعض الحقائق؟

- "إيكاروس" كانت تعكس الغزو العراقي على الكويت، لكن باستخدام الأداة التاريخية المتخيلة، وهي ليست محاكاة للغزو، بل الحديث عن الاحتلال وعلاقة المحتل بالغازي، وفنون الشعوب وقدرتها على المقاومة دون استخدام السلاح، بل بما يسمّى المقاومة المدنية، لكن "أمّا بعد" فتحدثنا عنها سابقاً، فاليهود كانوا ضمن نسيج المجتمع الكويتي ولا يمكن إغفاله، وبهذه الصفة لا يمكن السكوت عنها، وضرورة كشف الحقائق ودحض الأكاذيب حولها، وتناولها فنياً بشكلها الإنساني والجمالي.

● بهذا الشكل تعبّر عن همّ المثقف ودوره المفترض لحَمل المسؤولية الفكرية على عاتقه، هل لا يزال الأدب هو طريقتك المفضلة لتقديم هذا الدور؟

- المثقف هو طليعة المجتمع، وهو المؤشر أو قرون الاستشعار لمعضلات المجتمع وأمراضه، وعليه أن يستخدم كل الوسائل التي يملكها، في التنبيه والإرشاد ومشاركة المجتمع، لإيجاد طريق التطور الحضاري الإنساني، فأداة الأديب والفنان ليست هي أداة التعبير الأساسية، بل عليه استخدام كل ما لديه من إمكانات لتحقيق هذا الدور، سواء المقال أو المحاضرة أم خشبة المسرح... إلخ.

التجريب والحيل السردية

● "الريح تهزها الأشجار".. لهذه المجموعة خصوصية في التجريب الذي جاء بشكل غرائبي ومكثف ورمزي في بعض نصوصها، سأسألك مقتنصة عبارة تكاد تكون مثلاً يضرب لانفتاحها على أكثر من تأويل في أحد نصوصها: "أكو دسم في البحر"؟

- نعم المجموعة فيها قدر من التجريب الفني، عكسه التكثيف الشديد في القصص، وفيها تكرار للمتتالية القصصية بعد طلقة في صدر الشمال، وتجربة قصص تلغرافية، وكل أنواع التجريب هذه مشروعة، أما جملة "أكو دسم وايد في البحر" فتعكس التلوث الذي طال البحر بسبب تسرّب النفط من الناقلات، فلم أرد أن أقول إن البحر ملوث بالنفط والنفايات، بل جعلت الرجل الأعمى يقولها بفهمه ووعيه.

● تهيأت لي ملامح المعري وهو يتأمل "أديم الأرض" ويدوّن فلسفته شعراً في "صمت القبور"؛ لكنك بعثرت النمطية في الكتابة عن ذلك "الصمت" بمفارقة "الصخب"، فهل تقصّدت

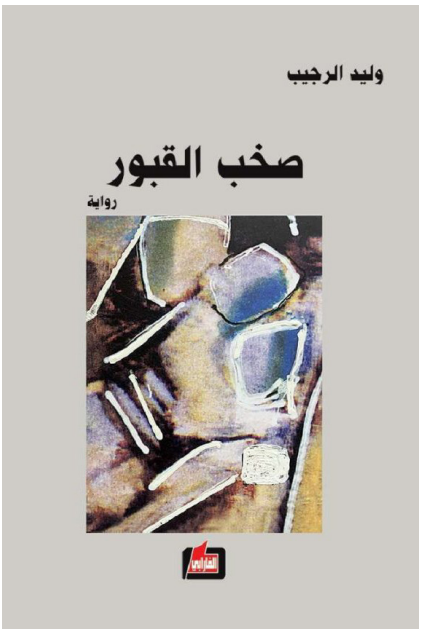

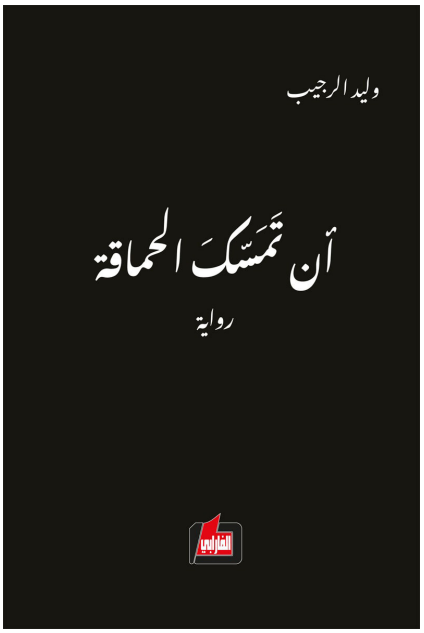

الطابع الفلسفي المتهكم في تلك التأملات؟

- من قال إن القبور صامتة؟ فكل تلك الأرواح صاخبة بمكنوناتها، وكل روح تحدّث عما عاشته في صخب الدنيا، وحملته معها، فقد تبدو القبور لمن لا يُنصت صامتة خرساء، لكنها صاخبة بحكاياتها لمن يُحسن الإصغاء.

● ثم عدت إلى الطفولة في "الأفول الطويل"، لا يمكننا الحوار بأسئلة تقفز ما بين إصداراتك الكثيرة وتتجاوز إحداها، لكن ما المسار الذي تشقه في مشاريعك الأدبية؟

- أنا موضوعتي الأساسية هي الإنسان في كل مواضعه وحالاته، فهو محور الحياة والحكايات، وعند الكِبَر قد يفقد الكثير من ذكرياته، لكنّه يتذكر طفولته بكل وضوح، فهو يتذكر البراءة والأحلام والخبرات الجديدة، والدهشات اليومية.

من جانب آخر، عندما يصاب الإنسان بالغيبوبة، يشير العلم إلى أن الإنسان يستجيب للمؤثرات، سواء الصوت أو الخيال، واستجابته تزداد عندما يكون المؤثر قوياً بالنسبة له، أو قريباً إلى قلبه.

المسار الذي أنتهجه هو مسار الحياة بكل تعرجاتها وبكل أنوائها وألوانها.

"أن تمسّك الحماقة"

● ابتدرت الرواية بتأملات بطل العمل المطولة في حياته الماضية وبأسئلة ذاتية وفلسفية حول الحب، الحزن والأوهام متوقفاً عند "الحماقات"؛ ولم اخترت الراوي العليم ليقوم بمهمة السرد القائم على الاسترجاع طوال الرواية، حتى "النهاية"؟

- الراوي العليم هنا في هذه الحالة مهم، بل ضروري كما أرى، فالمدمن بعد فترات الإنكار يعلم أنه مدمن، بل حتى أنه لا يمانع الذهاب إلى مصحات العلاج، لكن القوة القهرية أقوى بكثير مما نسمّيه الإرادة، فبدلاً من توجيه اللوم لنفسه، فهو يستعين بالراوي العليم، كمن ينظر في مرآة ويقول لنفسه أنت السبب، وكأن الراوي العارف يوجّه اللوم لشخص آخر، لا يعرف كيف انزلق إلى هذا الدرب، وهذا شكل من أشكال التنصل من المسؤولية.

أما التداعي فيتطلب درجة من الوعي، يكون الإنسان فيها لا يهرب إلى الأمام، بل يدفعه هذا الوعي إلى وضع نهاية لمأساوية هذه المرحلة من حياته.

● اعتمد السرد في "أن تمسّك الحماقة" على حركة داخلية للشخصيات أكثر من الحركة الخارجية، هل كان الهدف هو دخول هذا العالم وتشريحه من خلال هذه الانهيارات؟

- هناك مشكلة عند كثير من جمهور القراء، فما زال هناك دائماً خلط بين العمل الروائي والتسجيل التوثيقي، فبعضهم يظن أن بطل الرواية مثلاً هو الروائي ذاته، فإن كتب عن الإدمان فهو يصوّر حياته، وقِس على ذلك، وإن الأحداث حقيقية وقد حدثت لي مع القراء مواقف طريفة، لأنهم لا يفرّقون بين الواقع والخيال.

كما أن البعض يغضب عندما يتناول الروائي قضايا أخلاقية، مثلاً انحراف فتاة كويتية، ويعتبرون أنك عممت الأمر على كل النساء.

أنا أظن أنه طالما هناك رقيب بسيط غير مدرك لماهية الأدب، وطالما ظل المشهد الثقافي متخلفاً، وهو الذي يشكّل ثقافة المجتمع، فسوف تظل المشكلة قائمة.

● لم يفلح الحب، ولا التربية، ولا الضمير المستنجد طوال الرواية، ولا الرقابة أو العلاج الطبي في إنقاذ راشد.. ولم يتدخل أحد من الأهل ولا الأصدقاء ولا الحبيبة التي تزوجت وأنجبت ومضت في حياتها ولا حتى الراوي، وكأن الرواية "حالة احتضار" حتى لحظاتها القصوى.

ألا تظن أن الرواية ستُقرأ من زاوية أخلاقية فقط وفق هذه النهاية، بعيدا عن أبعادها الفنية والإنسانية؟

- الرواية يجب أن تُقرأ من الناحية الأخلاقية، لكن من الخطأ استبعاد الجوانب الفنية، التي من دونها ستصبح مقالة على سبيل المثال، هي عرض لإحدى المشكلات والأمراض الاجتماعية، بل هي مشكلة خطيرة، من شأنها تدمير أسر ومجتمعات، ولكن هذا العرض يجب تناوله بأداة فنية متطورة، لضمان الوصول إلى عقول وضمائر المجتمع والمؤسسات الرسمية، المنوط بها وضع الحلول العلمية لها.

● رصد السرد التحولات النفسية لراشد من دون الوقوع في خطاب وعظي، لكنه كان كاشفاً ودقيقاً وصارماً، هل يمكن أن تكون هذه المشاهد المرسومة رادعاً كافياً لمن قد "تمّسه الحماقة"؟

- ليس من مهمة الروائي أو القاص أن يقدّم وعظاً أو خطاباً أبوياً، فهذه ليست مهمة الراوي، كما أنه لا يضع أجوبة أو استنتاجات، بل مهمة الرواية طرح الأسئلة، أو وضع الأصبع على الجرح أو نبش الجحر.

لكن رغم كل ما يبذله الكاتب، لا أظن أنه سيكون رادعاً لمن تمسّه الحماقة، لكن يكفي الروائي أنه كشف المستور أو المسكوت عنه، وهذا أحد أدوار المثقف أن يكون في طليعة مجتمعه، أياً كان مصدر الهمّ؛ سواء كان اجتماعيا أم اقتصاديا أم سياسيا وفكريا.

نبض الداخل.. حركة الخارج

● إلى أي مدى يمكن للرواية أن تخوض في قضايا "التابو" كالإدمان والجريمة والمشاهد المظلمة دون مصادرة أو رقابة؟

- الرواية يجب أن تخوض بما أسميتيه "تابو"، هذا أحد أدوارها الرئيسية، لكن من دون ابتذال، التصدي لهذه الأمراض هو مسؤولية كبيرة، أما الرقيب الواعي فيجب عليه مساندة الكاتب، لأن هذا التصدي يصب في مصلحة الاثنين؛ الكاتب والرقيب، أما الرقيب الذي يؤول ويحاكم الفهم السطحي فهو مضرّ للأدب والتطور الفكري والثقافي للمجتمع.

● دورك الكبير في المجال الصحافي والممتد لسنوات طويلة لن تكفّ محركاته الوثابة رغم انشغالك في الكتابة والعمل بالعلاج النفسي، لا بُد من مساحة تفتقدها، فكيف تعوّضها؟

- أفادتني الصحافة في عدة جوانب، منها المران الدائم على الكتابة، ومتابعة المشهد على المستويين المحلي والإقليمي، والعالم، ليس الحدث السياسي فحسب، ما كان يهمني هو المحاكمات الفكرية التي تدفع إلى التقدم، بما يسمى صراع الأضداد للوصول إلى الرقي البشري.

أما التعامل مع الوقت، فهناك ساعات ودقائق تكفي لكل شيء، الكتابة الأدبية والصحافية والعمل المهني.

دلال نصرالله: قرأت 33 كتاباً لأتمكن من ترجمة كالڤينو

حوار: محيي الدين جرمة

تعمل المترجمة الكويتية دلال نصرالـلـه، بـدأب ونـشـاط منقطع النظير، لفت إليها أنظار جهات كثيرة ومترجمين عدة ومشتغلين بالثقافة من بلدان عربية مختلفة.

نصرالـلـه مـسـتـشـارة ثقافية ومترجمة ومديرة مشروع ينطلق من استراتيجية ترجمة واسعة النطاق تنحاز إلى رؤية تعزيز الترجمة عبر خيارات الوسائطية الرقمية، التي لم تعد راهنا مجرد خيارات يمكن تجاوزها، بل حتمية وضرورة ذكية للمواكبة العملية والفنية لنجاح فعل الترجـمـة، وإن في جوانب تتعلق بـ «تطبيقات ناجحة» من واقع تجربتها هنا كمترجمة ومستشارة ثقافية وخبيرة ذات اختصاص بمجال التعامل مع الذكاء الاصطناعي.

نحاورها هنا حول قضايا تتعلق بتقنية وأداء الترجمة كفعل ثقافي وإبـداعـي. فـي حـيـن تستفيض باقتصاد وإيجاز حول تفصيلات دقيقة عن الترجمة العربية الى لغات حية، وبالخصوص ما يتعلّق بترجمة الأدب السعودى التي ترى أن مشروع ترجمته ينال استحسانا كبيرا، رغم أنه في خطواته الأولى.

أمير الكويت الراحل الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح رحمه الله مكرماً النصرالله بجائزة التميز والإبداع الشبابي 2019

● تستهلين الرئية المرتجاة لما ترومين من هدف وغاية من مشروع الترجمة المنوط بك بعبارات عميقة لها دلالات، مثل قولك: "تـزداد قيمة أي مشروع ثقافي إذا صاحبه حرص على تفاصيله من الفكرة وحتى الإنجاز؛ بل تزداد قيمةً إذا صاحب المسؤول عنه ضمير حيّ لا يقبل بأي قصور في سبيل إنجازه بما يفوق التوقعات".

مثل هذه السطور تبدو دستورا دافئا يختزل كوناً من القيم التي تفتقد في أحوال وأعمال ووظيفة كهذه.

- ملاحظة دقيقة، نبحث في عالم إدارة مشاريع الترجمة عن الإتقان أولا وأخيراً، مما يرفع من شأنها ولا يحوّلها إلى مشروع تجاري بحت يديره تاجر لا يفقه في الترجمة شيئا، أو يديره مترجم غير متخصص في الترجمة ولا يملك المهارات الإدارية، والقيادية، والتسويقية اللازمة. هنالك من سيؤدي مهمته الوظيفية المحددة في العقد دون زيادة ونقصان، وهنالك من سيبدع لخلق مشروع ثقافي ريادي مُستدام يخدم قطاع الترجمة التنافسي.

● من خلال إدارة مشروعات ترجمة الأدب السعودي إلى لغات العالم وبصلاحيات حدودها أبجديات اللغات الحية، كيف توجزين النظرة الى مستقبل المشروع الواعد في ضوء ما تم إنجازه حتى اللحظة؟

- لطالما تساءلت في أثناء دراسة الأدب والترجمة واللغة الإيطالية عن سبب دراستنا لآداب الغرب، وندرة دراستهم للأدب الخليجي.

وقد اقتنصت الفرصة الثمينة التي قدّمتها مبادرة ترجم في المملكة العربية السعودية تحقيقًا لتلك الأمنية الأثيرة، وإيمانًا بقدرتي على إنجاز المشروع من منطلق تخصص في الترجمة والأدب، ودراية كافية بسوق النشر العربي والعالمي. والآن بعد ترجمة أربعين كتابًا إلى لغات العالم، أستطيع أن أقول إن مبادرة "ترجم" أعادت تعريف عالم الترجمة في الوطن العربي؛ بل ووضعت الأدب العربي السعودي في المكانة التي يستحقها دون أي تنازل عن الجودة.

● ترجمتك لمؤلف الكاتب والروائي الإيطالي

الشهير إيتالو كالفينو "لماذا نقرأ الأدب الكلاسيكي؟" سبق أن حققت وصولا إلى القائمة المختصرة ضمن الكتب المرشحة للفوز بجائزة زايد العالمية للكتاب في الدورة الـ 18 بفرع الترجمة، ما الذي مثّله لك حدث كهذا؟

- بدأت من الصفر في تعلّم الإيطالية والترجمة الأدبية، ومن دون أي دعم من أي جهة. وأن يصل كتاب ترجمته مترجمة كويتية، وعن دار نشر عراقية، لكاتب إيطالي له مكانة مرموقة في خريطة الأدب العالمي إلى القائمة القصيرة لجائزة إماراتية عالمية في مجال الترجمة عن الإيطالية، فذلك حافز عظيم لشابّة في بداية طريقها بعالم الترجمة. هذا الترشح بمنزلة إثبات وجود راسخ في عالم الترجمة الأدبية، وقدّم لي فرصا عملية لاحقة وانتشارا إعلاميا أكبر.

● هل شعرت بحجم الإنجاز كما بدا الأمر بخلفية حضور وتميّز ومنافسة محتدمة تصدّرتها قوة ومحتوى الكتاب/ الدراسة بجودة متميزة في المشاركة لمُؤَلَفٍ مترجم من الايطالية، وفي لحظة كنت قاب قوسين من التتويج بأرفع جائزة عربية قيمةً وتقديرا ماديا ومعنويا؟

- أذكر أنّي ترجمت ذلك الكتاب على مهل، وانتقيت كل كلمة فيه، واطّلعت على ثلاثة وثلاثين كتابا لأتمكّن فقط من القبض على المعاني الدفينة التي يرمي إليها كالفينو.

كنت أعلم أنني بحاجة إلى قارئ عربي واحد حاذق ينتبه إلى الجهد المبذول فيه، وهو ما تحقق قبل إعلان نتائج القائمة الطويلة ومن ثم القصيرة وبعده. أدرك الآن أنّ لي اسما مميزا في عالم الترجمة، وهذا بفضل المولى عز وجل. إنّ الجوائز نتيجة طبيعة لأي مشروع ناجح ومميز، ويفترض ألّا تكون هاجسا.

● إلى أي المحطات وصلتم في دروب مشروع ترجمة الأدب السعودي؟ وهذا مشروع مهم وتكمن أهميته انطلاقا من كونه يُفضي الى معرفة القارئ العربي والغربي، ومعرفة عمل مدير المشروعات الترجمية أيضا؟

- المشروع يكبر بخُطى ثابتة، فقد زاد عدد الأدباء الذين يثقون بي، كما زادت ثقة الناشرين الأجانب بي وبالمشروع، فزاد عدد الكتب المترجمة إلى الضعف في عامنا الثاني. وصار هناك إدراكٌ للفارق الكبير بين إدارة مشاريع الترجمة الأدبية والوكيل الأدبي؛ الأولى أشقّ، خاصة إذا كانت متخصصة في الترجمة العكسية من العربية إلى لغات أخرى.

مشروع ترجمة الأدب السعودي ينال استحسانًا كبيرا، رغم أنّه في خطواته الأولى، والقادم أجمل لأننا نتعلم من الأخطاء والتحديات، ولأنّ طموحنا يتجاوز عنان السماء.

● في لحظة عالمية متحولة في كل جزء من الثانية: كيف تتأسس رئيتك كمستشارة ثقافية ومترجمة ومديرة مشروع ينطلق من استراتيجية ترجمة واسعة النطاق الى خيارات الوسائطية الرقمية التي لم تعُد راهنا مجرّد خيارات يمكن تجاوزها، بل حتمية وضرورة ذكية للمواكبة العملية والفنية لنجاح فعل الترجمة وإن في جوانب تتعلق بتطبيقات ناجحة من واقع تجربتك هنا للذكاء الاصطناعي؟

- سؤال ذكي... دراستي لبرمجة الكمبيوتر تجبرني على مواكبة تطورات الذكاء الاصطناعي وتطوير معرفتي بلغات البرمجة لغايات كثيرة تخدمني في عملي. نحن لا نتكلم عن اللجوء إلى الآلة لتترجم لنا الكتب؛ لا طبعا، بل نتكلم عن إمكانية تطويع الذكاء الاصطناعي لتقديم خدمة أفضل في وقت قليل، وبمجهود أقل.

● لك إسهامات عديدة ومتواصلة في حقل الترجمة ورئي تدمغ مشروعاتكم بمصداقية ربما لمسها كثيرون من مترجمين ومترجمات وفنيين ومحررين ومراجعين تتعلق بتقييم ونزاهة التعاطي في اقتراح عناوين ومضامين إصداراتكم، فما هي الوصايا والمثبطات التي توصين بها مَن يرغب بموهبة ودراية في خوض غمار التجربة، وسلوك درب جديدة للترجمة؟

- أقول لزملائي المترجمين: انشغلوا بذواتكم ولا تنشغلوا بغيركم. لا تنتظروا الفرص؛ بل اصنعوها.

● هل أعطى كونك مترجمة ووجودك على رأس مهام تنفيذية وإدارة مشاريع بدعم من هيئة الأدب والنشر والترجمة في المملكة العربية السعودية دافعا لمترجمين ومترجمات عرب وأجانب وحافزا لبلوغ أهداف؟

- نعم. تواصل معي كثيرون لتعلُّم الترجمة الأدبية، وهنالك من أرادوا تعلُّم الإيطالية، وآخرون أرادوا التعامل مع دور النشر التي تعاملت معها، وهنالك من سعوا إلى أن نمثّلهم أو يساهموا في مشروع ترجمة الأدب السعودي الذي تموله هيئة الأدب والنشر والترجمة، وتُراقب مخرجاته مراقبة دقيقة عن طريق مبادرة "ترجم" وفريق عملها الرائع.

● ما مستقبل الترجمة كفعل ثقافي عربي وإنساني يشهد تحوّلا نوعيا؟

- تعيش الترجمة في المملكة عصرها الذهبي الآن، تجربة ناجحة تُصحح فيها كل الأخطاء التي ارتُكبت باسم الترجمة في شتى مجالاتها. إنّها تسير بخطى متسارعة لمواكبة تطورات المجال عالميا، ولرفع قدرات المترجمين في كل أقطار الوطن العربي. لم تعد الترجمة الآن مهنة مَن لا مهنة له، إنّها تخصص في علم لا يقل شأنا عن أي علم آخر، ولا يمكن القبول بأيّ قصور فيها.

- الجوائز نتيجة طبيعة لأي مشروع ناجح.. ويفترض ألا تكون هاجساً

- القادم أجمل لأننا نتعلم من الأخطاء والتحديات.. وطموحنا يتجاوز عنان السماء

غزو الكويت.. قصة صمود بين الثقافة والسياسة

خالد أحمد الطراح *

قصص وطنية، وملاحم بطولية، إبان الغزو العراقي في داخل الكويت وخارجها، كثيرا ما أهملها، مع الأسف، الزمن والتوثيق، على حين وثّقت بصورة تدريجية بعض القصص والروايات والحكايات والوقائع التي شهدتها الكويت خلال تلك الأيام العصيبة، وبقي الجزء الثقافي خارج التوثيق!

كانت أنظار العالم مركّزة على الكويت أثناء الغزو العراقي في العام 1990، وبعد التحرير في العام 1991، وهي مأساة، بلا شك، تستحق التركيز والاهتمام، فقد كان الغزو العراقي للكويت كارثة سياسية وعربية وإسلامية، وقصة غدر لا تُنسى.

عاش الشعب الكويتي في الداخل خلال شهور الاحتلال العراقي تحت وطأة الفزع والذل والمهانة والبطش والتنكيل من جيش نظامي للجار العراقي إبان نظام صدام حسين البائد، وقاوم الشعب بكل طوائفه وشرائحه وفئاته، من دون استثناء نساء الكويت، جحافل العراق.

وقد سطّر أبناء الكويت ملاحم خالدة في الصمود والمقاومة، وتنظيم الحياة ببسالة وحسّ وطني رفيع، ووقفوا صفًا واحدًا ودرعًا واقية في وجه الغزاة الذين انتهكوا القيم الإنسانية والأخلاقية، وتجاوزوا القوانين العربية والدولية.

لقد كان التحدي قاسيًا، بحجم الكارثة التي جلبها احتلال الجار العراقي.

شكّل الغزو العراقي للكويت أحد أقسى أشكال الصراع السياسي، وما رافقه من حمّامات دم وقتل بدمٍ بارد، وترويع للسكان المدنيين على امتداد سبعة أشهر من القسوة والبطش واستباحة الحرمات، غير أن بطولات الصمود الشعبي المدني جسّدت في المقابل صورًا نموذجية للمقاومة، لدولة صغيرة بمساحتها الجغرافية وعدد مواطنيها، كبيرة بمكانتها ونظامها الديموقراطي الدستوري.

الصمود السياسي والوحدة الوطنية

شكّل مؤتمر جدة الشعبي، الذي عُقد في أكتوبر 1990، رسالة دولية للتلاحم الوطني والالتفاف الشعبي حول القيادة الشرعية، وقد برهنت الجهود التنظيمية التي سبقته، والخطابات الرسمية والشعبية أثناءه، على وحدة الصف الكويتي تحت راية الوطن.

ويشهد نخبة من السادة الأفاضل، وفي مقدمتهم المهندس والوزير السابق عبدالرحمن الغنيم - يرحمه الله - الأمين العام للمؤتمر، والأمين العام المساعد الشاعر د. خليفة الوقيان، على الدور البارز للأمير الوالد الراحل الشيخ سعد العبدالله، الذي تابع كل تفاصيل التحضيرات ولجان المؤتمر بدقّة وبلا كلل، مواصلاً الليل بالنهار لمتابعة الوضع داخل الكويت وخارجها.

امتزجت قصة الكويت إبان الغزو بين المقاومة المسلحة في الداخل، وبين الصمود المدني الذي تمثّل في تنظيم الحياة اليومية، ورصّ الصفوف، وتقديم المساعدات للأسر المحتاجة، مما أسهم في تعزيز روح التضامن الوطني في تلك الشهور المأساوية.

الدور الثقافي والأدبي والإعلامي

لم يكن الكويتيون في الخارج بمنأى عن كارثة الغزو، فقد نظموا صفوفهم لتحقيق أقصى درجات التناغم مع المقاومة في الداخل، ومن أبرز النماذج التنظيمية:

- لجنة "مواطنون من أجل كويت حرة" في العاصمة الأميركية واشنطن.
- الرابطة الكويتية للعمل الشعبي في العاصمة المصرية القاهرة.

وقد أدى كل منهما دورًا محوريًا على الساحتين السياسية والثقافية والإعلامية.

الشعر والثقافة في الصمود

لأول مرة في تاريخه، وافق الأخ الكبير الشاعر د. خليفة الوقيان على تلحين وغناء بعض قصائده التي نُشرت في ديوانه "حصاد الريح"، في رسالة واضحة إلى العالم، والجار العراقي على وجه الخصوص.

"إبداعات وطنية منسيّة"، كان عنواناً لمقالي في سبتمبر 2018 حول التدفق الأدبي والموسيقي إبان مرحلة الغزو العراقي للكويت وبعد التحرير، حيث تعملقت الأمنيات بتوثيق الصوت والصورة لهذه الأعمال المضيئة توثيقاً لتاريخ الدولة، لكنها تطلّعات يتيمة، بل مجهولة الأبوين حكومياً!

نجدد التأكيد على الدور البارز والمهم للموسيقى والشعر والفنون عموماً، في التصدي لما يُحاك للشعوب والأوطان من مؤامرات تغتال الأمن والسلام وتستبيح دماء الأبرياء، كما عاشت الكويت وطناً وشعباً الغزو العراقي قبل 35 عاماً.

تدفقت قصائد من شعراء الكويت خلال الغزو العراقي للكويت، وتحوّل بعضها إلى أغانٍ تم تسجيلها صوتاً، بينما ما زالت خارج التوثيق بالصوت والصورة، وهو ما نتمنى أن يتبنّاه مركز جابر الثقافي قبل فوات الأوان.

شهدت الساحة الثقافية حصاداً أدبياً وموسيقياً في التسعينيات وتحديداً إبان الاجتياح العراقي لعلّ من أبرزها ما وثّقه د. الوقيان في ديوانه "حصاد الريح".

تغنى ببعض قصائد د. الوقيان الفنان القدير شادي الخليج، إلى جانب قصائد الشاعر الراحل عبدالله العتيبي، حيث تم تسجيلها صوتا فقط، ولم تلتفت وزارة الإعلام، حتى اليوم، لهذه الإبداعات، التي هي جزء من تاريخ الدولة!

يتجدد أملنا اليوم بأن يرى النور مع ذكرى التحرير في فبراير 2025 الحصاد الأدبي والموسيقي للغزو والتحرير على مسرح مركز جابر، توثيقاً لحقبة تاريخية مهمة، حتى لا تتحول هذه الإبداعات لتلك الفترة الوطنية العصيبة إلى شتات ثقافي وتاريخي.

إنني على علم بطبيعة النزاعات القانونية القائمة بين بعض الأطراف مع وزارة الإعلام ومركز جابر الثقافي، لكنني أدعو الأطراف المعنية إلى تحكيم الضمير وتقديم المصلحة الوطنية والتاريخية على مصالح مادية وشخصية ضيقة.

من بين ما فجّر وجدان الأديب د. الوقيان "برقيات كويتية" بتلحين الأخ الفنان الكبير غنام الديكان وغناء شادي الخليج، شفاه الله، وهي القصيدة التي جرى تسجيلها كأغنية وطنية إذاعياً فقط وأورد جزءاً منها:

أيها القادمون مع الليلِ
إن العروق التي نزَفت
فوق رمْل الكويتْ
لم يكنْ نبضُها
غير خَفقِ العروبةِ
في كلِّ بيتْ
قُل للرفاقِ

الأمير الوالد الشيخ سعد العبدالله - رحمه الله - يترأس إحدى جلسات الهيئة الاستشارية العليا لمؤتمر جدة وعن يمينه عبدالرحمن الغنيم وعن يساره عبداللطيف الروضان

الغارسينَ رماحَهم بظهورِنا
الناذرينَ سيوفَهم لنحورِنا
الدربُ نحو القُدسِ سالكةٌ
فكيف عبرتُمو نحوَ الجنُوبْ
هل أنتمُ أحفادُ مُعتصِمٍ
إذا انتخت الأسَارى
أم نَسْلِ هولاكو
الذي حَرقَ الديارا

من الأغاني على منصة اليوتيوب https://youtu.be/AVIcgDUjvlo أغنية شادي الخليج لقصيدة د. خليفة الوقيان "برقيات كويتية"، التي أخذت عنوانا أخر وهو "قل للرفاق".

كما كان للشاعر قصيدة أخرى تحولت إلى أغنية وطنية إبان الغزو وهي "العروس والقرصان":

للفجر في الكويت نكهةٌ
تعرفها زُغبُ العصافيرِ
وللنَدى على براعم الزهورِ نَفْحَةٌ
شذى يعطرُ المَدى
تلثُمُه خضر المناقير
والشمسُ في الكويت
تحوكُ من شعاعِها الفضّي
حين يعصف الشتاءُ
بردةٌ رحيبةٌ يذوبُ في شُعاعِها
بردُ المقاديرِ

وللشاعر د. الوقيان قصيدة أخرى بعنوان "نشيد لأطفال الكويت"، التي شدا فيها مجموعة من أبناء الكويت في القاهرة، وهي من ألحان الفنان القدير أحمد عبدالكريم.

أوثق للتاريخ أن الأديب د. الوقيان رفض إبان فترة الغزو العراقي للكويت وبعد التحرير أيضاً، أي مكافأة مالية مقابل قصائده، ترسيخاً ليقينه المطلق بأن ما قدّمه ليس سوى جزء من نبض وطني وعروبي تجاه الكويت وشعبها.

لقد جنح التوثيق الرسمي إلى عدم تناول بعمق وعناية دقيقة دور شعراء في الدفع بولادة أغانٍ وطنية، جرى تسجيلها وتلحينها خلال كارثةُ الغزو العراقي للكويت، فقد شهدت تلك الفترة تدفقاً أدبياً كثيفاً من الشاعر الراحل د. عبدالله العتيبي، وكان من بينها قصيدة "طائر البشرى"، التي كانت عنوانا لديوان للراحل تضمّن كل قصائده خلال الغزو.

لجنة «مواطنون من أجل كويت حُرّة»

هناك أيضا شخصيات كويتية، كان لها دور بارز ومحوري في بلورة مسار رحلة التصدي الإعلامي والسياسي في عواصم عالمية ذات تأثير بالغ في صياغة رأي المجتمع الدولي، وهو الأخ الكبير د. حسن الإبراهيم.

قاد د. الإبراهيم رحلة اللوبي الإعلامي من العاصمة الأميركية واشنطن تحت مظلة "لجنة مواطنون من أجل كويت حرة"، التي توّج عملها بعد تحرير الكويت في العام 1991 بتأسيس المؤسسة الكويتية - الأميركية، التي لا تزال تعمل في شتى أنحاء أميركا مع جهات مؤثرة في صياغة الرأي العام ومؤسسات القرار.

وقد كان لي نصيب، كغيري في العمل الإعلامي، في الاتحاد السوفياتي قبل انهياره من نافذة مكتب وكالة الأنباء الكويتية (كونا) في موسكو، حيث ساهمت في تنظيم الندوات من أبرزها ندوة حول الوضع المأساوي في الكويت بعد الاجتياح في مقر وكالة المعلومات (نوفوستي)، واللقاءات الصحافية أيضا، والمشاركة مع عدد محدود من الإخوة الدبلوماسيين الكويتيين وأسرهم، وإخوة عرب في التظاهر أمام السفارة العراقية بموسكو، وقد جرى توثيق ذلك أمام عدسات الإعلام الغربي والسوفياتي والعربي والكويتي أيضاً.

ونشرت صحيفة البرافدا، PRAVDA، الحقيقة، وهي الصحيفة الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفياتي، مقالا لي عن غزو الكويت، وكان النشر لمقال مواطن كويتي تعبيراً استثنائياً عن قواعد النشر الحزبية.

العمل النقابي

وعلى صعيد العمل النقابي، جاءت مبادرة فردية على يد رئيس اتحاد عمال الكويت الأسبق، الأخ الفاضل هايف العجمي، بتوثيق رحلته خلال تلك الشهور العصيبة ضمن إصدار له بعنوان "أضواء على مواقف وحركة التضامن العربية والعالمية"، وهو ما يستدعي ضمّه إلى وثائق "تاريخ الغزو العراقي لدولة الكويت".

مأساة الكويت التي شهدها العالم في العام 1990، تستحق تحديث التوثيق بصورة مستمرة، وألّا نتوقف عند هذه الكارثة السياسية، والاجتياح العسكري العراقي فقط مع ذكرى الغزو في 2 أغسطس من كل عام، ولا ينبغي إهمال التركيز على مخاطبة المجتمع الدولي، والشعب العراقي، والتذكير باحتلال العراق للكويت طوال شهور السنة، لكي لا تطوي ذاكرة التاريخ هذه المأساة البشرية.

في الإعادة إفادة

على مدى أعوام، وفي ومناسبات مختلفة، سعيت بقدر الإمكان لنشر وتوثيق جوانب منسيّة عن الصمود الثقافي والسياسي الشعبي في الخارج من خلال النشر داخل الكويت وخارجها، وسبق لي إبداء الملاحظات على التقارير والمقالات التي نشرتها مجلة البيان منذ شكلها التقليدي، وبعد التحول الحالي من حيث الطباعة.

ووجدت في مبادرة سكرتيرة تحرير "البيان"، الأستاذة أفراح الهندال، ودعوتها لي للنشر في المجلة، الفرصة لتوثيق العمل الشعبي الكويتي في الخارج، لتعميم الفائدة في إعادة نشر بعض المعلومات مع بعض التحديث، ففي الإعادة، دوماً، إفادة.

* كاتب وإعلامي من الكويت
@KALTARRAH

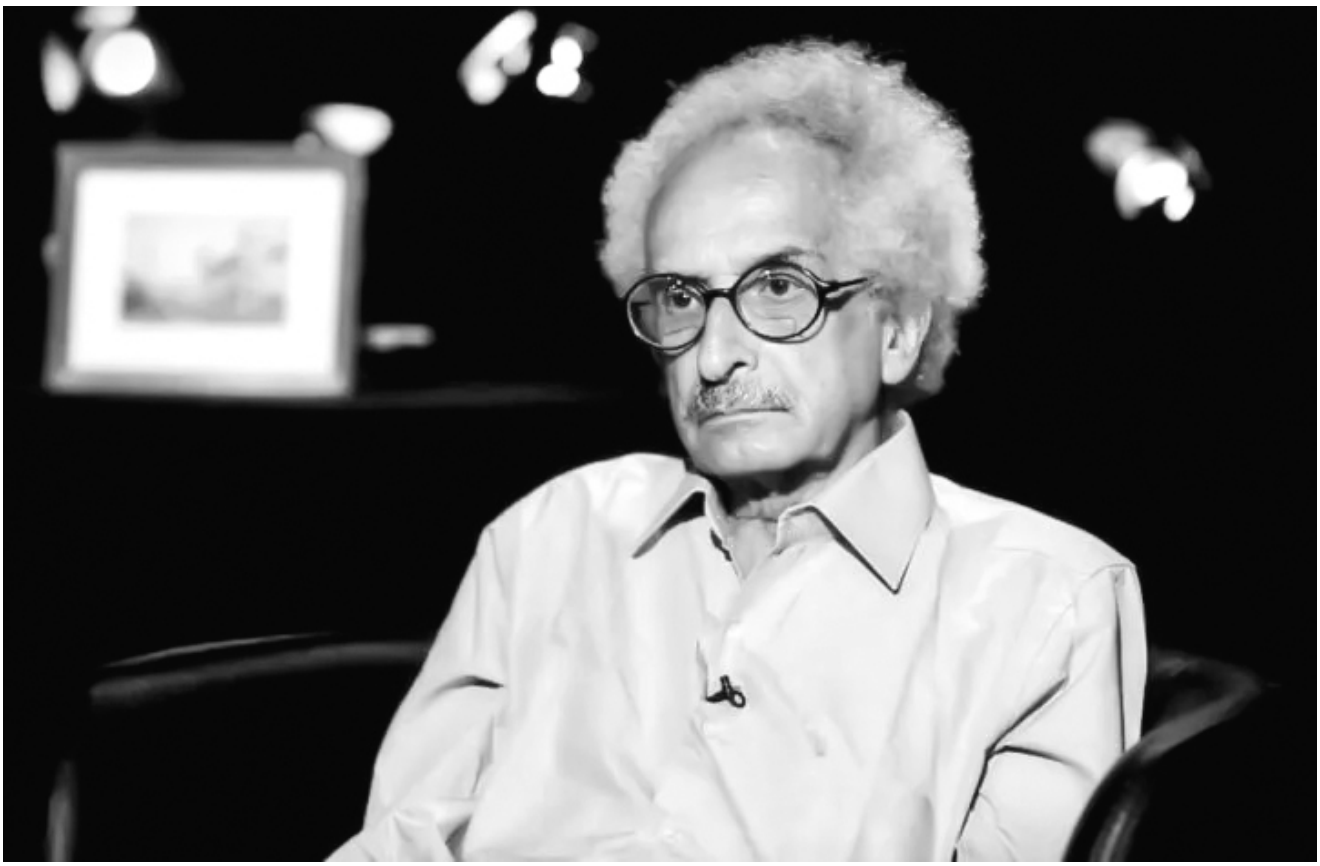

مراثي كُتّاب وأدباء عرب للأديب الكبير صنع الله إبراهيم

رحيل شاهد عصر الأحلام والهزائم

حجاج سلامة - مصر

وصفه الناعون بأنه "سيبقى شاهداً عنيداً على زمن القهر"، وذكروا أنه "ذاكرة تمشي على قدمين، وقالوا عن مساره الأدبي "إنه مشوار ثقافي طويل وشاق ومليء بالأشواك"، وبأنه "الكاتب الذي حوّل جراحه إلى أدب حيّ"، وغير ذلك الكثير من الشهادات التي نعى بها محبّو الأديب الكبير صنع الله إبراهيم في الأوساط الثقافية وصفحات وسائل التواصل الاجتماعي.

عرفه القراء العرب بفضل اهتمامه بقضايا الأمة، فكما كتب عن مصر، كتب عن بيروت والحرب اللبنانية، وانشغل بالقضايا العربية، ودفع ثمن مواقفه السياسية التي بدت ظاهرة في نصوصه الأدبية ومواقفه التي لا تغيب عن الذاكرة، ومنها رفضه تسلّم جائزة الرواية العربية من المجلس الأعلى للثقافة عام 2003، ذاق مرارة السجن في عهد الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، برغم انه كان يُقدّر التجربة الناصرية.

رحل الكاتب الكبير صنع الله إبراهيم عن دنيانا خلال أغسطس الماضي، لكنه رحل بجسده، تاركاً لنا سيرة عطرة ونصوصا متفردة ستبقى إرثاً ثرياً تتناقله الأجيال، حيث تفرّد صنع الله بطابع خاص، وظل طوال رحلته في عالم الأدب يُغرِّد خارج السِّرب، وسخَّر مشواره الأدبي في الحديث عن هموم الوطن.

تسبب رحيله في صدمة للأوساط الأدبية ولدى الكُتّاب والمثقفين العرب، الذين تحدثوا عن أدبه وسيرته ومواقفه التي سجّلها التاريخ بأحرف من نور، حيث صرّح وزير الثقافة المصري، الفنان د. أحمد هنو، بأن صنع الله "ترك إرثًا أدبيًا وإنسانياً خالداً سيظل حاضراً في وجدان الثقافة المصرية والعربية".

وأنه "مثّل أحد أعمدة السرد العربي المعاصر، وامتازت أعماله بالعمق في الرؤية، مع التزامه الدائم بقضايا الوطن والإنسان، وهو ما جعله مثالًا للمبدع الذي جمع بين الحس الإبداعي والوعي النقدي".

واعتبر الوزير المصري أن "فقدان صنع الله إبراهيم خسارة كبيرة للساحة الأدبية، فقد قدّم عبر مسيرته الطويلة أعمالًا روائية وقصصية أصبحت علامات مضيئة في المكتبة العربية، كما أثّر في أجيال من الكُتّاب والمبدعين".

مواقف لا تُنسى

من جهته، قال الروائي الكويتي طالب الرفاعي، مُعلّقاً على رحيل صنع الله إبراهيم: إذا مات مبدع في أي بلد، فقد خسر البلد صوتا يردد اسمه عالياً في فضاء الكون.

أما الأكاديمي د. سعد البازعي، فيرى أن صنع الله "أحد أكثر من قرأت لهم من الروائيين العرب ومن أعجبت بهم وتركوا أثرا في رؤيتي للرواية وللحياة. كتبت عن صنع الله، يرحمه الله، بإعجاب؛ وكنت حاضرا حين رفض جائزة الرواية العربية، لأن السفارة الإسرائيلية قريبة من دار الأوبرا بالقاهرة كما قال، وسمعت التصفيق الحار لموقفه الهائل".

مراثي الأدباء

الروائي المصري إبراهيم عبدالمجيد قال في تعليقه على خبر وفاة إبراهيم: "فقدنا كاتبا عظيما هو صنع الله إبراهيم.. الأستاذ والمعلم، الذي كان نعم الصديق على مر الزمن.. الى جنة الخلد يا حبيبي.. الدموع تجعلني لا أرى ما أمامي، سلّم على الحبايب يا صنع الله".

وفي تعليقه على رحيل صنع الله، علّق الروائي العماني محمد الشحري قائلاً: "ترحل الأجساد لا الكلمة".

أما الروائي الإماراتي عبدالله النعيمي، فقد أشار إلى محطات من حياة الراحل؛ قائلا إن الروائي الكبير صنع الله إبراهيم، توفي بعد مشوار ثقافي طويل وشاق ومليء بالأشواك. ولفت إلى أن الثقافة أحياناً تكون لعنة على صاحبها، مضيفا أنه يعتقد أن إبراهيم أحد الذين أصابتهم هذه اللعنة. في حين قال أحمد طوسون إن صنع الله كان صوتا جهوراً لأدب الرفض، وسيظل صوته صدّاحًا في ذاكرة الأدب.

الناقد السوري هيثم حسين ذكر أن صنع الله إبراهيم كان شاهداً عنيداً على زمن القهر، وكتب بلا مهادنة ولا تزيين. وستظلّ نصوصه تذكّرنا بأنّ الرواية موقف، وأنّ الكلمة الصادقة حين تُكتب بوعي وشرف، تبقى عصيّة على الموت.

وقالت الكاتبة اللبنانية فاطمة عبدالله إن صنع الله "أكثر من كاتب، إنه ذاكرة تمشي على قدمين وضمير ظلَّ يقظاً في وجه الصمت. حمل في قلبه وجع المقهورين وأحلام المهمَّشين، ودفع ثمن كلمته سنوات من عمره في "سجن الواحات"، حيث نضجت في أعماقه بذور الحكايات، وتشكّل صوته الرافض للاستسلام".

وأضافت أن صنع الله خرج من ظلمة الزنازين إلى فضاء الكتابة، ليصوغ روايات تمزج الحقيقة بالسرد، والتاريخ بالوجع الإنساني. في «تلك الرائحة»، دوَّى صدى السجين الذي لم تنكسر إرادته، وفي «اللجنة» و«بيروت بيروت» و«شرف»، كان الراصد والناقد والحالم بالعدالة.

وأكدت أنه لم يكتب ليُرضي سلطة أو يتزيَّن بجائزة، وحين شعر أنّ التكريم يُخاصم حرّية الكلمة، تركه ومضى، متمسّكاً بعهده مع القارئ والحقيقة. كان يؤمن أنّ الثورة تبدأ من نبض الناس، وأن الكاتب الحقّ يكتب وهو مبلّل بعرق الشارع وممتلئ برائحة الأرض. وأنه الكاتب الذي حوّل جراحه إلى أدب حيّ، فظلَّ اسمه مرادفاً لجرأة الموقف ونقاء الكلمة، ومَلْمحاً إنسانياً محفوراً في وجدان الرواية العربية.

حياة متقشفة وضمير حيّ

أما د. عمار علي حسن فقال إن الأدب العربي فقد كاتبًا شق لنفسه مسارًا متميزًا في الإبداع الروائي، سواء في الشكل أو المضمون، حتى صار هذا بصمة تدلّ عليه، لكنه في كل الأحوال توسّل بفن السرد في مقاومة الظلم والقبح والتخاذل والتكالب والخسّة والافتقار إلى الحس الإنساني، وأوضح أن صنع الله عاش حياة بسيطة متقشفة، جعلته واحداً من كبار الزاهدين بين أهل الكتابة.

وبيّنت الكاتبة ميرة القاسم أنها قرأت خبر وفاة صنع الله إبراهيم بنفس الطريقة التي كانت تقرأ بها رواياته.. دون عاطفة مفتعلة، ودون تعزية مرتّبة، فقط إدراك بارد بأن الحقيقة أكثر ما يؤلم.

في حين أكد عزت القمحاوي أن صنع الله سيبقى القامة الروائية المديدة والضمير والاستقامة الثقافية، كما ستبقى كتابته شاهدة على تاريخ سياسي وأدبي.

أما الكاتب سعد الدوسري، فأشار إلى أن صنع الله عُرف عنه شغفه بالعمل، وتنظيمه لوقته، قريباً في هذا الأمر من الروائي نجيب محفوظ، كما عُرف عنه حرصه على التواصل مع جميع المكونات الثقافية والإبداعية، محلياً وعربياً.

وقالت الكاتبة نسرين البخشونجي إن صنع الله كان بالنسبة لها النموذج الأمثل للمثقف الحقيقي؛ المثقف الذي لا تنفصل كتاباته عن مواقفه. وأضافت أن مكالمتين أو ثلاثا، ولقاء واحدا، كانت كافية لأن ترى انعكاس الصورة التي كوّنتها عنه في ذهنها، صورة الكاتب الذي يحمل موقفه كما يحمل قلمه.

أما الباحثة والكاتبة د. داليا سعودي فقالت ضمن تعليق طويل: إنه قد لا يتفق البعض مع كل ما ذهب إليه صنع الله من نهج تعبيري، لكننا لا نختلف على فرادته وسط المشهد وعلى صدقه في زمن شاعت فيه المجاملات وعمليات التجميل كي لا نقول الأكاذيب.

محطات من حياته

وُلد الراحل الكبير عام 1937 في العاصمة المصرية القاهرة، وشجّعه والده على القراءة، حيث وفّر له الكتب والقصص وجعله مُحبا للقراءة وهو في سن مُبكّرة، ومن ثمّ فقد أثّرت شخصية والده في تكوينه.

ترك دراسة الحقوق واتجه للصحافة وانضم للمنظمات السياسية، وذاق طعم الاعتقال ومرارة السجن، حيث بقي خلف أسوار السجن بين عامي 1959 و1964.

وما إن خرج حتى عمل بوكالة الأنباء المصرية، ثم في نظيرتها الألمانية، التي ترك العمل بها ليدرس التصوير السينمائي في العاصمة الروسية موسكو، ثم عاد إلى مصر، واختار أن يتفرغ للكتابة.

وتدلّنا المصادر على أن كتابات صنع الله إبراهيم - يرحمه الله - تميّزت بالتوثيق التاريخي، بجانب التركيز على الأوضاع السياسية في وطنه مصر والوطن العربي، وكانت أعماله الأدبية وثيقة الصلة بسيرته الشخصية، حيث تشابكت مع تاريخ مصر السياسي.

في روايته «اللجنة» ألقى الضوء على سياسة الانفتاح التي انتُهجت في عهد السادات. وفي روايته «بيروت بيروت» انشغل بالحرب الأهلية اللبنانية، أما في روايته «وردة» فقد تناول الثورات الاشتراكية العربية؛ وهكذا ظلت السياسة حاضرة في الكثير من أعماله.

وبالطبع، فإن كتابات صنع الله، وما قدّمه من مؤلفات للمكتبة العربية، كانت محل دراسة من كبار النقاد والكتّاب العرب، حيث كُتبت عنها عشرات الدراسات التي تناولت تلك الكتابات من مختلف الجوانب اللغوية والفنية.

التشكيلي ماهر ناجي - فلسطين

للأقصى قدسٌ

إبراهيم محمد نصير*

وترحلُ عنّا فصولُ الحياهْ
هو الأقصى يبقى حَبيبًا بنا
فأين النفيرُ يُلبّي النِّدا؟
هيَ القدسُ ثَكلى تئِنُّ بنا
يموتُ الرجالُ تموتُ النِّسا
وفي كلّ طفلٍ يموتُ المُنى
غَيارى الجهادِ أَما كنتُمُ
علِمْتُم بِأنَّها قُدسي هنا؟
فكيفَ تركتُم طريقَ الجهاد
إلى غيرِ قدسٍ تقودونا؟
فكمْ مِنْ بَريءٍ يسيلُ دما
وكمْ من جريحٍ يُعاني الوَنا؟

فأرضُ الكرامةِ في المَقْدِسَيْن
ومَنْ كان في الحقِّ لا يَجْبُنا
فبِئْسَ الجهادُ قِتالُ الشقيق
وهذا العدوُّ يجوبُ الدُّنى
فأيْنَ الصديقُ وأينَ الرفيق
رِماحُ الأعادي على دورِنا؟
أَما كان في الشّرقِ حُكْمٌ رشيد
يثوبُ إلى الحقِّ مِن بيْننا؟
زعيمٌ عظيمٌ وسيفٌ تَليد
يُعيدُ السلامَ إلى أرضِنا
ستبقى المدائنُ نورَ الأمل
ويبقى الزِّنادُ خيارًا لنا

* شاعر من الكويت

zakes mda

عكّاز في المقعد الأخير

عائشة العبدالله *

عكس الريح.. عكس التيار..
عكس عقارب الساعة..
وعكس الرائحين لحظة الرواح..
وعكس الغادين في وقت الغدوّ..
أسير وقلبي..
مثل عابريْن لا يبحثان عن وطن..
بل عن منفى أقلّ غربةً..
أقل وحشةً..
عن فجوة أقلّ اتساعاً، وابتلاعاً، للأحلام..
أسير وقلبي..
مثل عكّازين مبتورين..
يتكئ جرحٌ على جرح آخر..
أركب معه أوّل حافلة تعترض الطريق..
وأنزل في محطةٍ لا تريدني ثقباً في جيبها..
وأنساه وحيداً.. في المقعد الأخير.

* شاعرة من الكويت

ربما لنا في الرحيل نجاة!

عائشة الفجري *

لعلّ لنا بعد الرحيل حياة!
رغم أنه احتضار..
فيه ألمٌ وانكسار..
لكنه أقلُّ قسوةً من
ظلمٍ ثم اعتذارٍ
فتكرار..
كأننا في الدنيا خُشُب..
مُسْنَدة على جدار..
جمادات بلا إرادةٍ ولا..
مشاعرَ أو اختيار..
لنا قلوب نعم..
فيها الأمل..
فيها غربة..
وبقايا انتظار..

ولنا أجساد..
إن طال بها
الأمدُ..
فمصيرها اندثار..
ولنا أمانيَ وأحلام
كثيرة وابتسامة
كبيرة وفرحة..
لكنها في عالمٍ
بلا أسوار..
سقطَ منّا بعضها..
سهواً،
وبعضُها عالق في
قيودٍ من الأسرار..
نرجو خلاصَ أرواحنا،
منها.. لكننا مُقيدونَ
في سجونٍ ليلُها بلا نورٍ..
ولا نرى فيها شمساً

في النهار..
كأنها قبور نسكنها،
قبل أن نصيرَ
إلى هوامِدَ أو أحجار..
والقصائد..
كُلُ القصائد..
تلكَ التي نكتبها..
ليس بالورق
أو الأحبار..
ننقشها..
على صفائح القلوب
التائهة في الأسفار..

* فنانة تشكيلية وكاتبة من الكويت

John Gardner

على مقعد طائرة

حمد الحمد *

(1)

على مقعد لرجال الأعمال جلست، رحت - بفارغ الصبر - أنتظر مَن سيجلس بجانبي، وأتمنى ألا يكون بنفس تصرّفات المسافر في الرحلة الماضية الذي أشفقت عليه، كنت أتيح له أن يمرّ فوق قدمي عدة مرات حتى يذهب إلى دورة المياه، وكلما عاد قال: "مرض السكر"، أي بسبب التبول المتكرر لديه، رغم أنني لم أساله، وكأنه يقول: عندما تكبر تُحاصرك الأمراض، حينها تبدو كشمعة تحترق لآخرها، وهنا لا جدوى منك!

هذه المرة رحلتي الثانية من باريس نحو نيويورك، أتمنى راكباً أفضل لا يزعجني، لم تقلع الطائرة بعد، لكن بعد ثوانٍ قدِمَت امرأة ربما كانت في أواخر الثلاثينيات.. ابتهجت، جميلة، هنا حتما لن أعيش في دائرة الإزعاج الماضية، لم تحيّيني، وإنما أخذت مكانها بجانب النافذة، (مقعد ف 1)، وأنا أجلس بالطرف، (ف 3)، وبيننا مقعد فارغ، وأتمنى ألا يجلس أحد بيننا.

(2)

أقلعت الطائرة، واستمر الصمت بيننا، لم تنظر إليّ أبدا، وكأنني غير موجود، وأنا لم أبادر، أنا فاشل في المبادرات، فتحت حقيبتها الصغيرة، وبعد أن عدلت خصلة من شعرها للخلف أخرجت مُذكّرة، ولا أعرف ما دوّنت بها، حلّقت الطائرة، وبعد ثلث ساعة أخرجت كتاباً صغيراً؛ أتوقع رواية وراحت تقرأ، أنا لم أتعود القراءة لا في المنزل ولا في الطائرة، عموما نحن قوم لا نقرأ ولا نكتب!

آخر عهدي بالقراءة عندما تخرّجت في الجامعة، فعلا أنا فاشل في المبادرات العاطفية، ولكن كما يُعرَف عنّي أنني ناجح بامتياز في ترتيب الصفقات التجارية، ورحلتي هذه لترتيب صفقة للشركة التي أعمل بها، هنا تذكرت قول والدتي.. إنني ناجح في كل شيء.. إلا..!

(3)

أكره فترات الصمت، بعد ساعة، وبعد أن ارتشفت هي كوب عصير سقطت قطرات منه على جانب من كتابها، نظرت إليّ وابتسمت، وكأنها تقول "يحدث ذلك أحيانا"، أبعدت الكتاب عنها ووضعته في المقعد الفارغ بيننا، هنا مددت رأسي لا إرادياً ونظرت إلى عنوان الكتاب، كان باللغة الإنكليزية "هناك نجمة وهناك نجوم"، عنوان جميل، انتبهت لي وأنا أمد رأسي كطائر، وقالت بابتسامة: "أتمنى أن يكون عنوان الكتاب أعجبك، كنت مُجبرة أن أقرأ".. رددت عليها: "مُجبرة! هل هناك إنسان يُجبر على أن يقرأ كتابا.. لا أعرف؟"، لكنني تسرّعت بما قلت وكأنه إهانة... نظرت إليّ بابتسامة مفتعلة، وكأنها تود أن تقول شيئاً ما، لكنها كتمت ردّها.

عاد الصمت بيننا مرة أخرى، وأنا أسأل نفسي، هل أقتحم عالمها؟، لكن قد يسكن في ذهنها من ملامحي أنني إرهابي.. ترددت، لكن ألغيت هكذا أفكار غير واقعية، فأنا إنسان مُهذب في الأربعين؛ تسلل الشيب إلى جانب من رأسي، طردت تلك الفكرة، لكن ما زال صوت أمي يتردد داخلي: "أنت فاشل في مبادرات تقود إلى زواج"، فكرة تسكن في ذهن أمي.. هل أحطّم ما رسخ في ذهنها؟، هل أحاول، حيث تبقى على نيويورك خمس ساعات؟!

(4)

جاء الفرج عندما رحت في حديث معها، لكن الضغط في الطائرة لم يكن موصلاً جيداً لكلامي، ومع كل جملة كنت أرفع صوتي، قالت بجرأة: "لا أسمعك.. إما أن تجلس بقربي أو أجلس أنا بقربك"، وتعني أن أجلس على المقعد الفارغ بيننا، لم أتردد وقفزت في المقعد بجانبها، هنا فاجأتني بحديث عن عملها، واكتشفت أنها موظفة وظيفتها القراءة، وفهمت أنها ناقدة ومُحررة، بمعنى عملها اليومي هو أن تصلها مسودات كتاب بالبريد أو بالـ "بي دي إف" من دور نشر أو صحف، وما عليها إلّا أن تقرأ وتدوّن وجهة نظرها، وعرفت أنها يصلها يومياً سيل بالبريد أو على الإيميل، تدخلت قائلاً: يُفترض بالرأي الذي تقدمينه أن يكون ذا مصداقية، صمتت للحظة قائلة: "سؤالك في مكانه، بمعنى هل أكون صادقة"؟ وردّت بجملة: "أنا صادقة، لكنهم ليسوا صادقين"، وتعني دور النشر والصحف، وتوقفنا عن الحديث عندما دهمتنا المضيفة بوجبة لا تغني ولا تسمن من جوع.

(5)

في الساعة التالية من الرحلة، انكسر حاجز ما بيننا، وانفتحنا على بعض، لم تقل لي اسمها، إنما راحت تروي حكايتها منذ الطفولة ودراستها الجامعية ووفاة والدها بحادث،

ورحت أنا كذلك أرسم صورا لطفولتي المختلفة وحياتي الشرقية، ورفض والدي الخروج من القرية التي وُلد فيها، واعتماده على بقالة صغيرة لا تدرّ علينا إلّا الدخل اليسير، والدي رفض صخب المدينة والثراء والازدحام المروري في الطرقات، وكان يردد: "القناعة.. القناعة كنز يا بني...".

لكن بعد انكشافنا الواضح، لا أعرف لماذا التفتت فجأة نحوي، وبلغة خشنة بعض الشيء قالت: "لو تسمح، الآن وقت عملي"، لم أردّ، لكن فضّلت أن أعود إلى مقعدي، وكنت في حالة استغراب، وعاد الصمت الطويل بيننا، ألمحها وهي تفتح اللاب توب وتبدأ الكتابة من دون أن تلتفت إليّ.

كنت في حالة استغراب تام، لكنني لا أستطيع أن أقتحم عالم هذه المسافرة التي تجلس في المقعد، لكن قلت لنفسي: حتما لن تستمر بالطباعة، وسوف تعود وتعود للحديث.. لكن لا جدوى؛ ما زالت منهمكة بالطباعة، حتى أنها رفضت أن تأخذ المشروب الغازي الذي قدّمته المضيفة.

(6)

شعرت بأن الملف الذي انفتح بيننا قد أغلق تماماً، لكن، لماذا لم تذكر لي اسمها؟ عموما، لا أستطيع إلا أن أسميها "مسافرة"، عشت في حيرة، ودهمني النعاس وأنا أنظر إلى ساعتي؛ لم يتبقّ على وجهتنا، مطار نيويورك، إلّا ساعة أو أقل، رحت في غيبوبة من النوم، ولم أشعر بنفسي إلّا على صوت من الطائرة يعلن الاستعداد للهبوط، تأكدت من ربط الحزام، والتفتُّ لها، كانت قد أغلقت اللاب توب ولم تنظر إليّ، وكأنني غير موجود، كانت بيدها ورقة صغيرة لا أعرف ما الذي كتبته فيها، كنت أود أن أعرف فقط اسمها الأول، لكن لم تكن لديها الرغبة، وهبطت الطائرة، فأردت أن أقول لها "الحمد لله على السلامة"، لكن لا مجال، فقد أغلقت نافذة التواصل بيننا، وكان الجو مشحونا.. هل ارتكبت خطأ ما؟ لا أذكر، لكن هذا ما حدث.

توقفت الطائرة، وقفت وأخذت حقيبتي التي في الأعلى، اقتربت منّي ومدت يدها وقدّمت لي تلك الورقة الصغيرة التي كتبتها، وقالت بصوت يشبه الهمس: "لا تفتحها إلا عندما تكون في غرفتك بفندق بلازا رويال"، أخذت الورقة ووضعتها في جيب قميصي وأنا في حالة استغراب، لكن مؤكد أنها ربما تكون قد كتبت اسمها ورقم هاتفها أو عنوانها الإلكتروني، وهكذا من أجل أن نتواصل، هذا الذي جاء في ذهني.

أخذت الورقة، لم أفتحها، بل وضعتها في حقيبة يد صغيرة أحملها وبها جواز سفري، كنت في حيرة من تصرُّفها وتغيّر نبرة صوتها، واختفاء ابتسامتها، لكن كيف عرفت الفندق الذي سأسكن فيه؟، هنا تذكّرت أنني أثناء حديثنا قدّمت لها كل معلوماتي، بينما كانت هي متحفظة جدا!

(7)

غادرت من دون حتى أن تقول مع السلامة، ألمحها تخرج مع طوابير المسافرين، تركنا الطائرة، وفي الممرات توجهنا إلى الجوازات وأنا في ذهني ما حدث، وبعد ذلك وجدت نفسي أستقل تاكسيا متوجها إلى فندق بلازا رويال، ولديّ شغف أن أخرج تلك الورقة وأفتحها لأقرأ ما بها، أفكار وأفكار عن معرفة ما الذي كتبته، ولكن في ذهني أنها دوّنت اسمها ورقم هاتفها، وصلت إلى الفندق وتسلّمت البطاقة المغنطة، فتحت الباب ودخلت غرفتي، وبسرعة فتحت حقيبة اليد الصغيرة، أخرجت الورقة وجلست على جانب السرير ورُحت أتلمس كلمات كتبتها بخط مُتعرّج، كتبت: "عزيزي المسافر الذي لا أعرف اسمه، أعتذر، أنا مصابة بنوع من انفصام الشخصية، قد تأتي نوبته كل سنة مرة أو مرتين، عندها أصبح إنسانة أخرى، وبينما أنا أتحدث معك شعرت بأن النوبة قد بدأت... فاعذرني.. التوقيع: مسافرة لا تعرف اسمها"!

في حيرة وارتباك وقفت.. أخذت كوباً من الماء، وإذا بجرس الهاتف يرنّ، الساعة الواحدة ليلاً، مَن يتصل بي في هذا الوقت؟ رفعتُ السماعة.. وعشت في حيرة وارتباك وأنا أشعر أن هناك صوتا!

* روائي وقاص من الكويت.

زنجبيل *

علي الصباح **

يحدِّق فهد في فنجان قهوته الذي يهتز مع رجرجة الطائرة. يستحضر اهتزاز قلبه كلما دهمته ذكرى داليا، التي لم يكن طول الزمن كفيلا لنسيانها.

هبطت الطائرة. استقل سيارة أجرة إلى الڤيلا التي سيقضي فيها نهاية الأسبوع. صاحبة الڤيلا سيدة صينية، طويلة بشكل لافت، وشعرها يحاذي أذنيها. رحبّت به وأخذته بجولة تعريفية، إلى أن أوصلته للغرفة التي سيقطنها. يشاركه في هذه الڤيلا نزلاء آخرون.

سارت أيامه على نحوٍ جيد. في صبيحة يومه الأخير قرر أن يتناول فطوره في الحديقة. حضّرت له العاملة فطوره، وكان بيضة مسلوقة، وقطعة توست مع زبدة الفول السوداني، وقهوة. جلس يتناول فطوره، وجلست سيدة البيت تدردش معه لتسلّيه. أخبرته، بإنكليزية مكسّرة، أن جلّ نزلائها من الصين، وأنها تتلهى بإدارة هذا العقار مع عقارين آخرين، وقد استطاعت قبل سنتين أن تتقاعد في سن مبكّرة بفضل العوائد المرتفعة. تقضي أيامها برتابة مع ابنتها، وثلاث قطط وعاملة، وسائق. بينما تتحدث بلا توقف، تداعت إلى فهد صورة داليا. وتساءل: «إلى متى؟».

***

بعد ثلاثة أسابيع، عاد مجدّدًا إلى نفس المدينة. نزل في فندق مع أصدقائه. في ليلتهم الأولى، ذهبوا إلى ملهى ليلي. أكثر فهد من الشرب، وأخرج هاتفه، دون اكتراث بالعواقب، وأرسل رسالة نصية إلى السيدة الصينية يخبرها فيها بأنه رجع ليقضي نهاية الأسبوع هناك، ويرغب في الخروج معها لتناول العشاء، ثم وضع هاتفه في جيبه. بعد دقائق ليست طويلة، صرخ في وجه أصدقائه: «قالت نعم».

اختار مطعماً ياباني في أحد الفنادق الفاخرة. في لوبي الفندق، أخبرهم العامل أن باصاً سيمّر بعد دقائق ليأخذهم إلى المطعم الذي يقع في ناحية بعيدة على الراجلين، لم يكن في الباص سواهما وسائحين أوروبيين، حدّثته عن زيارتها الأولى لهذه المدينة: «لم يكن أي من هذه الأبراج موجودًا أول ما وصلت». أكملت تلخّص الخمس وعشرين سنةً الماضية، «في بداية التسعينيات نصحني صديق والدي بالانتقال إلى هنا. الشركات الصينية العاملة هنا كثيرة، والفرص وفيرة. جئت لا أعرف شيئًا عن البلد الذي سأعمل فيه، ولا أتحدث غير الصينية. ثم تزوجت مواطنًا كان يعمل في الحكومة، وجاء إلى شركتنا لمتابعة مشروع بيننا وبين الوزارة التي كان يعمل فيها. كان مختلفًا جدًا. لم يشعرني أنني أقلّ منه لأنني أجنبية، صينية بالتحديد.

تزوجنا بعد سنتين من معرفتنا ببعض، وأنجبت ميثاء، وأهله لا يعرفون شيئًا عنّي. ثم أصيب بسرطان الدم. خاف عليّ وعلى ابنته، فأخبر أهله بكل شيء، ثم رحل بعد أشهر قليلة». التفتت إلى فهد وعلى وجهها تعابير تشير إلى أنها ستعيد شريط الأحداث، وهزّت رأسها: «حدث ذلك بسرعة. بعد وفاته جاءتني مضايقات من أهل زوجي. يريدون أن أقبل بالقليل من تركته وأتنازل عن البقية، وأن تكون ميثاء في رعايتهم. رفضت في البداية، لكني شعرت بالخوف. ثمّة من يلاحقني ويراقبني، فرأيت أن أقبل على شرط ألّا أُحرم من ابنتي». أنصتَ إليها بتركيز، وقال: «يمكنني تخيّل كم كان ذلك صعبًا. لكن، ألا تحنّين إلى الصين وأقاربك هناك؟». حدّقت فيه لوهلة، ثم فلتت منها ضحكة: «يااااه، حين أتيتُ إلى هنا كنت أنت طفلًا، بيبي يا فهد بيبي!» شاركها فهد ضحكها بوجه محمّر. وأكملت: «والدي توفي قبل سنوات قليلة. كنت إلى جانبه في مرض وفاته. أخبرني أنه يريد أن يتنازل عن كلّ ثروته لي، لأنه لا أحد من إخوتي أولاه أي رعاية أو اهتمام، لكنّي رفضت. لا أريد لهذه الوصية أن تجلب لي عداوتهم. الآن ألتقي بأخي وأختي في كل رأس سنة صينية».

جلسا إلى الطاولة. طلب فهد أطباقًا متنوعةً من السوشي. تناول قطعة من السلمون، غمسها في صلصة الصويا وتناولها بينما يستمع إليها تسترسل في حديثها عن أفضلية المنازل الصغيرة على الشقق، لتدنّي سعر الرسوم والضرائب المستحقة عليها. تناول قطعة من التونا، غمسها في صلصة الصويا، وقبل أن

يتناولها أوقفت حديثها وقالت: «خذ شريحة زنجبيل».

لم يفهم فهد ما ترمي إليه. شرحت له: «قبل أن تنتقل من طعام إلى آخر تناول شريحة زنجبيل، لتجعل حلمات لسانك مستعدة لتذوّق الطعم الجديد دون تأثير من الطعم السابق». أعجبته الفكرة، أخذ شريحة زنجبيل بالعصيّ الخشبية، ومضغها. استشعر مزيج الخل والسُّكَر الغريب في الزنجبيل. بينما حلمات لسانه تتخفف مما ذاقته قبل قليل، سرح فهد يتذكّر آخر مرة صادف فيها داليا. كانت تسير مع صديقتها، وحين شاهدته اندمجت معها فجأة بحديث ضاحك. تتحدث وتتضاحك بصوت عالٍ، ربّما حتى صديقتها استغربت نوبة الضحك تلك. لم يكن فهد يعرف كم شريحة زنجبيل يجب عليه أن يتناول الآن.

سألته في نهاية اللقاء متى سيعود مرة أخرى. أخبرها: بعد ثلاثة أسابيع.

خلال الأسابيع الثلاثة، امتلأ هاتف فهد بصور كثيرة لقطط السيدة الصينية، تفاصيل دقيقة ليومياتها مع النزلاء. وقصص عن غباء خادمتها التي تذهب معها في بعض الأيام للعب التنس. ووعود كثيرة عن رحلات يمكنها أن تصحبه فيها إلى الصين، حيث ستجعله يرى عالمًا لم يكن يحلم بوجوده.

في يوم وصوله، أرسل لها عنوان الحانة البلجيكية التي سيتقابلان فيها للعشاء. أخذ طاولة مطلّة على الشاطئ. طلب بيرة بلجيكية، وبينما هو ينتظرها لمح فتاة تشبه داليا. تلك الفتيات اللاتي يشبهن داليا يبدو أنهن أيضا يلاحقنه في كل مكان. وصلت السيدة الصينية بجينز أزرق وبلوزة زيتية.

«أعتذر، تأخرّت عليك. لكن هناك بعض الأعمال التي يجب عليّ أن أنتهي منها اليوم. أخبرتهم أني لن أعود إلّا في الغد». أخذ رشفة من البيرة، ونادى النادلة ليطلب منها ريزوتو مع المشروم، وهي طلبت سباغيتي مع كرات اللحم، وشددت على ألّا يضاف إليه جبن. بينما يتناولان عشاءهما، كان فهد ينصت إليها، واستحوذ على انتباهه لمعانٌ عند أذنيها. لؤلؤة كبيرة بلون ذهبي فاتح تزيّن شحمة أذنها. وحين تلتفت، تظهر لؤلؤة صغيرة أخرى خلف شحمة أذنها. أشار إليها: «بديعة». ابتسمت وتحسست شحمة أذنها، ثم أقرت: «أفضّل اللؤلؤ على سائر المجوهرات. ليس لأحد فضل في كونه جميلًا وكاملًا. تختبئ اللؤلؤة في ظلمة المحارة، وتتشكل يومًا بعد يوم، طبقة فوق طبقة، ثم تمكث وحيدة متوارية في عتمتها، تنتظر ذلك الشجاع الذي سيغامر ويخاطر بالغوص لينتزع المحارة من القاع، ثم يخلصها منها، فتكافئه بالثروة والسعادة». نادى النادلة ليطلب كأسًا ثانية من البيرة. طلب منها أن ترشّح له نوعًا مختلفًا، فشرعت تشرح بتفصيل عن كل الأنواع المتوافرة، في تلك الأثناء، انتبه إلى أن السيدة الصينية رَنَت ناحية الشاطئ. «هل هناك منفذ إلى البحر؟»، سألت النادلة.

على شاطئ البحر، يسيران بأكفٍّ متشابكة. جلسا عند مقعد خشبي يحدقان في الموج الهائج، والهواء يعبث بشعرها. تنهدت: «كم لؤلؤة مخبوءة في هذا البحر؟». مرّ وراءهما أربعة أو خمسة صبية يتحدثون بصوت عالٍ.

اقترب فهد منها وقبّلها. تراجعتْ. قبّلها ثانية. وثالثة. ولم يكن فهد، في تلك الأثناء، يفكر إلا في شيءٍ واحد.

* من مجموعة "في مزاج للحب"، التي ستُنشر قريباً

** كاتب وقاص من الكويت.

نباح المكتب

حصة المطيري *

في مكان العمل، كان لدينا كلب، لكنه ليس ككل الكلاب التي تعتقد أن لها أسياداً، لا، هذا الكلب هو السيّد الحقيقي لصاحبه، عندما يدخل إلى صاحبه، يتحول الإنسان إلى كائن صامت ومطيع ومنفّذ لأوامر الكلب.

صاحبه، المسكين، يستمع باهتمام لكل كلمة تنطق بها تلك الشفاه الفروية، كما لو كان يتلقى توجيهات من خبير استراتيجي، بل ويأخذ قرارات مصيرية بناءً على آراء الكلب، وكأنه يتحدث عن خطط مستقبلية لشركة ما، في النهاية، يبدو أن الكلب قد عُيّن رئيساً غير رسمي، بينما يواصل صاحبه العمل كموظف في خدمة سيّده الكلب.

ذات يوم، اجتمع الكلب مع رفقائه من ذوي الفرو، وقرروا أن الوقت قد حان لطرد الزميل الجديد الذي يعتبر «حديث العهد» بينهم، فما كان منهم إلّا أن أقاموا سلسلة من الاجتماعات في ساحة الكلاب المزدحمة، حيث تُعقد كل الأمور، مثل خطط الهجوم على حاويات القمامة.

وبعد سلسلة من الاجتماعات التي تُعتبر من أروع ما عُقد في تاريخ الكلاب، ونقاشات معمقة حول فوائد وأضرار هذا الزميل الجديد، توصلوا إلى قرارات مصيرية، فكل كلب كان يسرد قصصًا غير حقيقية عن هذا الزميل، وكأنهم يتحدثون عن مؤامرة كبرى، وكانت القرارات كالتالي:

1. غسل عقل المدير: قرروا أن يبدأوا بحملة «تغيير المفاهيم»، كما لو كانوا فريقاً من المسوقين المحترفين، على أمل أن يغسلوا دماغ المدير تمامًا مثلما يغسلون أرجلهم في بِركة الماء.

2. إثارة الإشاعات: استعدوا لتصعيد الأمور عبر إشاعات مثيرة، مثل أن الزميل الجديد يخطط لفتح مطعم للكلاب، مما قد يؤثر سلبًا على سوق المعجنات المُحببة لديهم.

3. محاولة تشكيكه في المكان: أطلقوا حملة «المكان ليس مثاليًا»، على أمل أن يزرعوا في ذهنه الشكوك، كأنما يقولون له: «لماذا تبقى هنا بينما يمكن أن تذهب إلى مكان آخر»؟

وفي أحد الأيام، قرر الزميل الجديد أن يتحدث، ففتح فمه ليخرج صوته، لكن العجيب في الأمر أن صوته لم يُسمَع إلّا من قبل جدران المكاتب المزدحمة بالناس، وكأن الناس يعانون مشكلة سمعية كبيرة!

أما المسؤولون فقد كانوا كالأشباح في فيلم رعب، يسمعون فقط من دون ردّة فعل واقعية، بل كانوا يستمعون وينصتون فقط للكلاب، يبدو أنهم مُعجبون بصوت الكلاب أكثر من أي شيء آخر!

هنا، تنتهي حكاية الزميل الجديد، لكن هذه النهاية ليست سوى بداية لرحلة جديدة، حيث تتقاطع الطرق في مكان آخر، ليظهر أبطال آخرون، وتجارب جديدة تنتظر أن تُروى.

فبينما تُطوى صفحات هذه القصة، تنبض الحياة في زوايا أخرى، حاملةً معها آمالًا وتحديات جديدة.

إعدام الشمس.. وخوفنا

في كل صباح، تستيقظ باكرا حتى وإن كانت متعبة، كان هناك هاجس يرافقها كظلها، خوف دائم من أن يأتي يوم تستفيق فيه لتجد الصباح قد غاب للأبد، ولا وجود لأشعة الشمس التي تقتحم المنزل من نوافذها.

في يوم بارد، استيقظت شريفة لتكتشف أن مخاوفها قد تجسّدت أمامها والعتمة استولت على المكان وسكنت فيه.

توجهت شريفة نحو المطبخ على أثر صوت يناديها، مستعينةً بضوء هاتفها النقال للطريق نحو الصوت الغامض، لكن، كلما اقتربت من الصوت تلاشى وبدأ يناديها من غرفة النوم، كما لو أنه يلعب لعبة الاختفاء، عادت لغرفة النوم لتكتشف أن النداء انتقل إلى الصالون، وهنا، أطفأت ضوء هاتفها ومشت بهدوء في الظلام.

اقتربت حتى بات الصوت يهمس في أذنها، يسألها بلهجة مشبوهة: «لماذا يا شريفة استيقظتِ الآن؟ اليوم هو يوم انطلاق الظلام الأبدي».

تراجعت شريفة خطوة للوراء، قائلة بارتباك «لا يمكن أن تكون العتمة هي الحياة، يجب أن تخرج الآن حتى تعود الشمس».

لكن الصوت ردّ ببرود كبرود الليل، قائلاً «لقد قتلت الشمس حتى لا تفكري كثيراً في هذا اليوم».

شريفة بلهجة متأرجحة «من سمح لك أن تقتل الشمس؟ من منحك الحق أن تحرم العالم من النور والصباح الذي نجدد فيه حياتنا وأفكارنا وأعمالنا وأرواحنا»؟

أجاب الصوت بهدوء «أنتِ من أذنت لي بذلك، تفكيرك الدائم حول إعدام الشمس عجّل الأمر».

شريفة، وقد زاد ارتباكها، أجابت: «لا، ذلك مستحيل! لا يمكنني أن أشارك بهذه الفوضى وأقتل الشمس».

أجاب الصوت وهو يتسلل إلى أعماقها «ألم تفكري قبل النوم في احتمال عدم زيارة الشمس للعالم في الصباح»؟

استرجعت شريفة أفكارها، وقالت: «نعم أفكر بذلك دائما، لكن ما علاقته بالأمر»؟

فردّ الصوت كأنه يأتي من روحها: «قرار قتل الشمس جاء من باطن عقلك المشوش، فكثرة التفكير جلبتني لأقضي الشمس».

عادت شريفة لتسأل وهي في حيرة: «ومَن تكون أنت»؟

ردّ الصوت من داخل روحها «أنا أنتِ.. أنا خوفك الدائم».

* كاتبة وقاصة من الكويت

أنثروبولوجيا السَّواد

د. مشاعل عبدالعزيز الهاجـري *

بجمالّياتها القائمة على الغامِض أكثر من المرئي، مرّت العباءة النسويّة الكويتية بمراحل تطورية تجعلها - بامتياز - مقياساً أنثروبولوجياً حقيقياً للتغييرات الاجتماعية التي مرت بها بلادنا.

العباءة مع البوشية في حقبة ما قبل النفط (الانغلاق)، العباءة المحروقة في الساحات العامة في الستينيات (الطّفرة)، العباءة على الملابس القصيرة في السبعينيات (الانفتاح)، العباءة مع الإيشارب الأبيض (الصحوة الدينية في الثمانينيات)، العباءة مع النّقاب (التشدّد الديني في التسعينيات)، ثم العباءة ذات الطُرُز الملونة والمتنوعة منذ بداية الألفيّة الثانية (التنوع والتغييرات الديموغرافيّة).

كانت قناعاتي الأنثروبولوجية مشوبةً بشيءٍ من القسوة في الماضي: ألواننا شطرنجيّة قاطعة؛ دشاديشنا بيضاء وعباءاتنا سوداء، ولا وجود لألوان الطيف الأخرى، لذلك كنت أرى أننا لا نضيف للحضارة شيئاً من حيث البُعد الجماليّ لأزيائنا الشعبية الكويتية (الإيرانيات - مثلاً - يحتشِمن مثلنا، لكنهن يفعلن ذلك بارتداء الشادور الزاهي الملون).

لكن الحقيقة - التي أدركتها بمرور الزمن - هي أنه لا يُشترط فيك أن تضيف لونا كي تُعتبر قد أسهمت في البناء الحضاريّ للبشرية. ربما كنّا في ارتدائنا للعباءَة لا نضيف مُعطياتٍ ماديةً، ولكننا بالتأكيد نُرسّخ قيماً معنوية؛ الاحتشام، الجديّة ثم، وانتبه، المرونة.

ربما كانت القيمة الأخيرة هي القيمة الأهم، لأنها تَظهر في الخلط بين الاحتشام كأصلٍ مع التسامح المُتزايد في ظهور بعض علامات الجمال الأنثوي كاستثناء (بعضٌ من خصلات شعرٍ مُتَطايرة، طرفٌ من ساقٍ غافل).

يبقى، بعد كل ذلك، أن نُقدّر ما في هندسة العباءة من خبثٍ فنيّ عميقٍ، فتركيبة القماش مع ثُنياتِه ما هي إلّا خلطةٌ جهنميةٌ من الخَفْرِ والإغراء معاً.

المعادلة الفنية دقيقة.

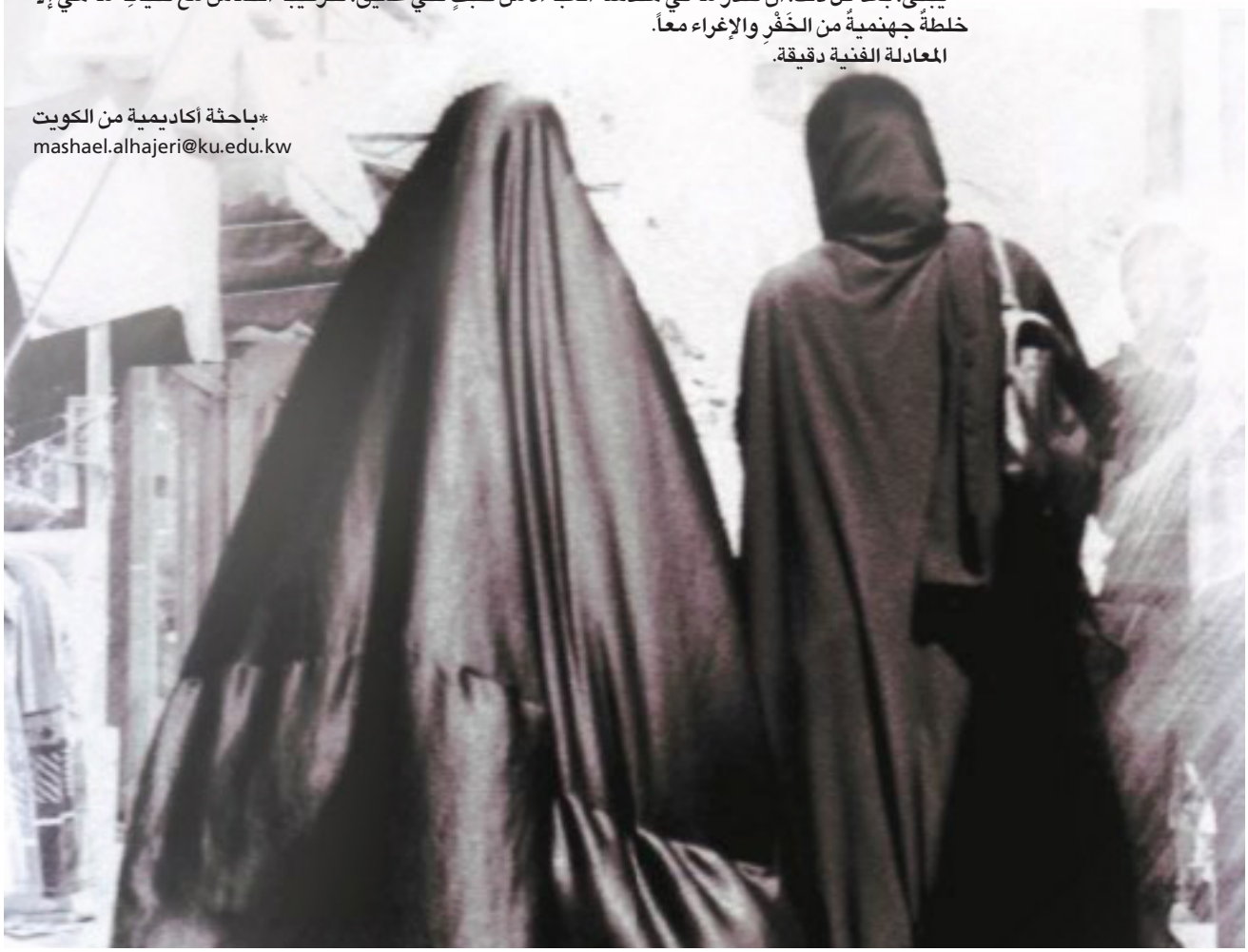

*باحثة أكاديمية من الكويت
mashael.alhajeri@ku.edu.kw

سعدالله ونوس كما عرفته!

حسن م. يوسف *

من أبرز الأشياء القليلة التي أغبط نفسي عليها في الحياة، أن سعدالله ونوس قد أدخلني قلعته وأطلقني فيها أذهب أنَّى أشاء! صحيح أن الوقت لم يسعفني كي أفتح الكثير من الأبواب، وأستجلي الأسرار الكامنة خلفها! لكن تأشيرة الدخول إلى قلعة ونوس لا تزال حتى اللحظة موسومة على قلبي!

كان وقع هزيمة يونيو (حزيران) على الغالبية العظمى من أبناء جيلنا أشبه باكتشاف سرطان في العائلة! الكل يتجاهلونه ما أمكنهم ذلك، وعندما يضطرون إلى الحديث عنه يسمّونه (المكروه)!

"كانت الصدمة حادة وعنيفة، إذ أحس الجميع أنهم مطعونون بكبريائهم، إنهم مهانون حتى العظم!"

لكن صدمة "الزلزال الكبير" لم تُرهب ونوس، بل أيقظت فيه طاقة التحدي، فأشعل قلبه المحب المقهور، وأطلق سراح الأسئلة! وبالأسئلة الصحيحة، اخترق ونوس صمت الخوف الرهيب، وبنى نصه على أساس مَكين من العقل والعاطفة، ليضعنا وجهاً لوجه، أمام الأسباب الحقيقية لعضال الهزيمة، جامعاً جرأة الفكرة وحرارة النبرة! لهذا جاءت "حفلة سمر من أجل 5 حزيران" بمنزلة اختراق مركّب؛ على صعيد القول وعلى صعيد الشكل الفني أيضاً!

قبل سعدالله ونوس، كان المسرح العربي حبيس علبة الطاعة الإيطالية، ينوس بين نقيضين؛ حشمة مصطنعة مضجرة، وبذاءة ضحلة منفرة! ومن قلب زلزال الهزيمة الكبير أطلّ ونوس! مدَّ لسانه للهزيمة! وجعل منصة المسرح تمد لسانها هي الأخرى لها، عبر الصالة، وصولاً إلى الشارع، حيث يتسيّد صمت الخوف! اخترق الجدار الرابع الذي طالما وقف حائلاً بين خشبة المسرح العربي والحياة، أدخل شخصياته إلى الصالة من حيث دخلنا، لكي يشرح لنا لماذا انهزمنا، ولماذا صرنا إلى حيث صرنا!

"كانت الضرورة تقضي أن يوجد أحد، مثل ذلك الطفل الذي أشار إلى الملك وقال إنه عارٍ، ليقول شيئا مماثلاً، وكان ونوس ذلك الطفل الذي قال!"

كانت "حفلة سمر من أجل 5 حزيران" بمنزلة بيان مسرحي تطبيقي حي، يعلن رفض الهزيمة والموت، وينحاز للحياة والكتابة! ولهذا أحدثت المسرحية ضجّة هائلة عند عرضها في عدد من العواصم العربية، قبل دمشق، ولهذا لم يكن النجاح الجماهيري المدوي الذي حققه نص ونوس وإخراج علاء الدين كوكش مفاجئاً، ففي كل عرض كان مسرح الحمراء بدمشق يحتشد بالرواد، وفي كل عرض كان النجاح يتجدد ويتأكد!

"قد تكون (القناعة كنز لا يفنى) بالنسبة لبعض الناس، وخاصة أولئك الذين يريدون ابتلاع كل شيء، لكنها ليست كذلك بالنسبة لي. فهي برأيي كنز مزيف يُراد به تخدير الناس كي يظلوا مستسلمين لظروفهم، ساكتين عن مستغليهم، متسامحين مع مضطهديهم!

وإذا كان ثمّة كنز حقيقي من هذا النوع، فهو برأيي الشعور بعدم الرضا! فالشعور بعدم الرضا كان دائماً وراء كل خطوة مهمة خطاها الإنسان منذ أن خرج من كهفه الحجري لأول مرة بحثاً عن الطريدة، وحتى خروجه من مدار كوكب الأرض لآخر مرة، بحثاً عن المزيد من المعرفة.

فعدم رضا الإنسان عن ضعفه هو الذي دفعه للبحث عن مصادر القوة في الطبيعة... وعدم رضاه عن الطعام الخام والمعدن الخام، هو الذي دفعه لإعادة إنتاجهما... وعدم رضا المُستغلّين والمضطهدين بالظلم هو الذي جعلهم يفجّرون الثورات... كما أن عدم رضا الإنسان عن وضعه الروحي هو الذي جعله يسمو عليه من خلال الآداب والفنون، ومن هنا يخيّل إليّ أن رغبة الإنسان بالكمال هي التي تلحّ عليه دائماً كي يشعر بعدم الرضا".

صحيح أنني في تلك الزاوية لم أذكر اسم سعدالله ونوس، ولم ألمح إليه، لكنّني كنت أتمثله أمامي وأنا أكتبها، وهأنذا إذ أعيد قراءتها الآن أحس بظله يكمن خلف كل حرف فيها! فلو كان عدم الرضا قابلاً لأن يتجسّد في شخص، لما كان ذلك الشخص سوى ونوس!

يقول شاعر آسيوي قديم:

"ذلك الفارس الذي يندفع في المقدمة

يحاول اللحاق بفارس آخر لا يراه أحد".

وقد عاش سعدالله حتى هجعته الأخيرة، غير منتبه لمن يحاولون اللحاق به، لأنه كان منهمكاً في محاولة اللحاق بفارس آخر لا يراه أحد سواه!

صحيح أننا ننتمي إلى بيئة واحدة تقريباً، ولا تفصل بيننا سوى سبع سنوات من العمر، لكنني، رغم مودته المبكرة تجاهي، كنت أتهيّبه، خصوصاً في بداية تعارفنا، ولم ينجلِ لي سر هذا التهيّب إلا بعد رحيل فواز الساجر الذي أحدق بنا كالخديعة! لم يكن ذلك بسبب موهبته الفذة، ولا بسبب ثقافته الواسعة، ولا لأنه قدّم نفسه بقوة مدهشة ككاتب مسرحي صاحب مشروع مكتمل الملامح، منذ البداية! بل لأنه وُلدَ كبيراً، لا بالمعنى المجازي، بل بالمعنى الدقيق للكلمة!

هذا الأمر يؤكده أستاذه خلال المرحلة الابتدائية، المعلم متري عرنوق، وهذه الملاحظة يؤكدها أقدم دفتر مذكرات دوّنه سعدالله ونوس، فقد كتب على الصفحة الأولى من دفتر مذكراته تقييماً نقدياً لمجلة الآداب بتاريخ 10/ 7/ 1953، جاء فيه:

"... فما أحوجنا لمثل هذه المجلة، ولكم تتحقق لنا النهضة بأمثالها، فإنني أهنئ من كل قلبي محرريها ومنشئيها، لأنها ولا شك تملأ ذهن كل من يقرأها بمفيد القصص، التي تمثّل النزعة العربية، وتستحثها على التقدم، وتعمل على ترقيتها بمختلف المواضيع الأدبية، التي تمثّل صرخة الصحراء العربية...!"

كان ونوس في الثانية عشرة عندما كتب هذا الكلام الناضج الذي ينمّ عن عقل نيّر، وقلب وطني صميم، معنيّ بالتقدم والقضايا العامة! أهمية هذه الوثيقة تكمن في أنها تشير إلى أن عُمْر سعدالله العقلي كان دائماً أكبر من عمره الفعلي بكثير! فمن يتصور طفلاً في الثانية عشرة، يقرأ مجلة الآداب المتخصصة! ويكتب في وصفها مثل هذا الكلام الناضج الرصين، ويدعو إلى إنشاء عدد من أمثالها!

المدهش في الأمر هو أن سعدالله كان متشدداً مع نفسه إلى درجة الصرامة، لكنه في الوقت نفسه كان رحيماً بالآخرين، رفيقاً بهم. وهذه سمة ميّزته منذ طفولته، وقد أشار شقيقه الأكبر محمد إلى هذا الجانب المهم من طبيعته، ولاحظها كل من سبحوا في مياهه العذبة، وقطفوا ثمار صحبته.

تقول الناقدة المصرية عبلة الرويني، زوجة الشاعر الكبير الراحل أمل دنقل: "الاهتمام بالناس هاجس دائم عنده. كان شخصاً فعالاً في علاقته بالآخرين. أذكر أن

أول اتصال تليفوني بعد حدوث زلزال القاهرة كان من سعدالله ونوس...".

وتؤكد أخته سعدة، التي ظلت تربطها به علاقة حميمة جداً حتى آخر أيامه على هذا الجانب من شخصيته، إذ تصفه بقولها إنه "رقيق، محب للناس، كان يحب المطالعة ويقرأ المجلات الرصينة منذ مطلع شبابه... ومع أنه كان لا يزال مراهقا أيام العدوان الثلاثي، رغم ذلك كانت لديه أحاسيس وطنية ناضجة".

وكلام السيدة سعدة يجد صداه العميق في مذكرات شقيقها سعدالله، فأثناء السنة الثالثة من دكتاتورية الشيشكلي العسكرية كتب ونوس في دفتره المعنون "مذكراتي" نداءً موجهاً إلى أبناء الجيل الجديد، سننشر مقطعاً منه لما ينطوي عليه من رؤية ناضجة وواضحة، يقول ونوس تحت عنوان "نداء إلى الجيل الجديد":

"إن بلادنا العربية كانت بلاد الشهامة والكرامة، كانت بلاد الحضارة والازدهار، كانت منذ قرون في أوج مجدها، وأرقى درجات سؤددها المتعالي، معتمدة على ذلك في اجتماع كلمتها، واتحاد آرائها وعنصرها. أما الآن فقد مزّقتها سموم الأديان والطائفيات، وأضعفها خلط حب الوطن المذهّب بمعدن آخر يقل عنه قيمة، فانحطت إلى الحضيض، مما سهّل للطامعين اقتسامها، وبذر بذور التفرقة والبغض بين أجزائها".

أعتقد أن هذه الرؤية الواضحة والناضجة، ليست بحاجة إلى تعليق، فالنداء الذي كتبه سعدالله، ابن الثانية عشرة، عام 1953، يصلح لزماننا هذا أيضاً، ذلك لأن "سفينة العرب" لم تكن مهددة بالغرق يوماً أكثر مما هي الآن!

في مواقع متفرقة من "مذكراتي" يصف ونوس جانباً من طباعه وعالمه الداخلي وإحساسه بالعالم من حوله، يقول: "كنت دائماً أخاف الظلام خوفاً مثيراً، كما أنني أتحاشى حتى ذكر الموت، فكان يحزنني دائماً"..."كان منظر الفقير يحزّ في نفسي ويثير مشاعري، فإذا استجدى أمي سائلاً، فكنت أتوق وأتمنى من كل قلبي أن تجيبه على طلبه".

لم أكن قد رأيت دفتر مذكرات سعدالله بعد، عندما كتبت عنه أقول: "لا يصح الحديث عن علاقة ونوس بالكتابة. فكلمة علاقة توحي وجود طرفين، وسعدالله ونوس والكتابة طرف واحد! فالكتابة لونوس كما الروح للجسد، والحرارة للنار".

كان سعدالله يمارس الكتابة بتلقائية التنفس، تأتيه العبارة ناجزة مكتملة ناضجة فيمليها بدقّة على مَن يكتب له، كما لو أنه يقرأها من كتاب. ذات مرة أجرى سعدالله في حضوري لقاء طويلاً على الهاتف مباشرة مع الشاعر نوري الجراح المقيم في لندن، كان يملي عليه الإجابات بهدوء، لا ينسى فاصلة أو نقطة، كما لو أنه يقرأ من كتاب مفتوح. وعندما صدر الحوار، صفحة كاملة، في جريدة الحياة صبيحة اليوم التالي، شكّك بعض المثقفين في أن يكون الحوار قد أجري على الهاتف، دون أي تحضير مسبق، كما هو منوّه في مقدمته، ولو لم أكن حاضراً ساعة إجراء الحوار على الهاتف، لما خالفتهم الرأي، لأنّ الحوار كان منقّحاً ومُبوّباً بشكل بالغ الدقة! فسعدالله لم يكن يملي الكلمات وحسب، بل كان يملي النقاط والفواصل والأقواس... إلخ.

منذ أن تعرّفت على سعدالله أدركت أن الكتابة هي جوهر الحياة بالنسبة له، غير أني، رغم ذلك، لم أكن أعرف ولم أتوقع أن تكون علاقته بالكتابة ناجزة ومكتملة بهذا الشكل المبكر.

يقول في صدر الصفحة الخامسة من "مذكراتي" التي كتبها في الثانية عشرة من عمره: "إنني الآن أكتب بدافع فضول غريب، لكي أزفر بعض شؤون حياتي، التي لا تثير اهتمام أي شخص على الورق".

ولو أمعنّا النظر في هذه العبارة، فسنجد أنها تنطوي على أهم سمات الكتابة عند المبدع الكبير سعدالله ونوس؛ النزاهة، وضوح الفكرة، صفاء الصورة، ونظافة الأسلوب!

يقول سعدالله في مكان آخر من مذكراته، واصفاً هذا الجانب من شخصيته بشكل أوضح: ".. ومن ناحية أخرى، فإنني أكاد أعبد المطالعة، وخاصة القصص التي تمثّل مناهج الحياة، ولي أيضاً هواية كالمطالعة أحبها مثلها، وهي الكتابة، فدائماً أكتب كتابات بسيطة ليس فيها شيء من الجمال، ولكنني لا أخجل منها، لأنه ليس ثمّة كاتب نشأ، إلا كان بسيطاً في البداية، ومن أهم النواحي التي أحبّ الكتابة عنها نقد المجتمع، وكشف الستار عن مساوئه ومعايبه، راجياً من الجيل الجديد تصليح أخطائه وتقويمها. كما أنني أحب وصف الطبيعة، وما يجول في خاطري عنها".

وقد لاحظت منذ بدء صحبتنا أن الطبيعة كانت دائماً واحداً من أهم مصادر الغبطة بالنسبة لسعدالله! ولهذا كنت آخذه إلى قلب الطبيعة، عندما أتمكن من إقناعه بضرورة الخروج من شرنقة النشاط الغرفي!

وفي آخر مشوار طويل قمنا به أخذته بسيارتي (السلحفاة) إلى موقع عين الصاحب على طريق حلبون؛ كان ضوء الشمس المائلة للغروب يُلبس الصخور العملاقة غلالة من الذهب، وكانت الظلال تتمدد فوق طبقات الصخر الملتوية المتراصة في حوار مع ذهب الغروب، لتخلق من الجبل برمّته نصباً تذكارياً هائلاً لنسر يدفن رأسه في لبدته وينام!

ارتشف سعدالله المشهد ببطء وانتشاء، كما لو أنه كأس من شراب فاخر لا يمكن أن يعوّض، وعندما أفاق من نشوته التفت إليَّ وقال بأسى شديد: "أين هم رسامو بلادنا من كل هذا الجمال؟" فأجبته بمزيج من التهكم والمرارة: "فاتوا في إحدى الحارات الدمشقية الضيقة، ولم يخرجوا بعد"!

ميّز ونوس بعينه البصيرة الخبيرة، مدى موهبة فواز الساجر منذ أول عرض رآه له، إذ رأى فيه الشريك الإبداعي الذي طالما انتظره، لذا اعتذر عن رئاسة القسم الثقافي في جريدة السفير، كي يتفرّغ لمشروعه المسرحي الذي بدأ يأخذ كل اهتمامه! وقد حظي هذا الأمر باهتمام القائمين على الثقافة في دمشق، فسمّي ونوس إبان عودته مديراً للمسرح التجريبي، في مسرح القباني، كما سمّي فواز الساجر مخرجاً فيه. وقد اختار الاثنان أن يكون أول عمل مشترك لهما مونودراما "يوميات مجنون" عن نص نيكولاي غوغول!

كان للرجلين هَمّ واحد مشترك هو البحث عن صيغة خلاقة لمسرح عربي جديد! وقد اختارا البدء بيوميات مجنون، لأنهما وجدا في نص غوغول قدرة هائلة على التعرية والكشف. وهكذا خاضا التجربة، بحماس الموهوب المؤمن بقوة الإبداع على التغيير، وقد كان العرض عملية تشريح دقيقة لعالم البرجوازي الصغير، المغتبط بنفسه والمنشغل عن كل ما حوله بعنعناته الداخلية.

كان كل شيء يوحي أن العرض قد انتهى، لكن الظلام ظل مخيّماً على الصالة، وبينما كنا ننتظر أن تشتعل الأضواء صدمنا، إذ وجدنا صورنا على المنصة! فقد ثبت فواز مرآة بحجم فراغ الخشبة، ليقول لنا إن يوميات ذلك المجنون تخصنا، فنحن الممثلون والمتفرجون في آن معاً!

كانت سنة 1977 سنة فوران شديد في الحياة العربية عموماً والسورية بشكل خاص، فقد أنعشت حرب أكتوبر (تشرين) الآمال، واستفزت كل القوى الحية في المجتمع! غير أن تلك السنة كانت مهمة أكثر، لكل من فواز الساجر وونوس، فقد استكمل سعدالله تأسيس المسرح التجريبي وقدّم أول عرض فيه، وكتب مسرحية "الملك هو الملك"، التي كانت بداية مرحلة جديدة في عمله المسرحي، كما حقق واحداً من أحلامه القديمة، وأسس مجلة الحياة المسرحية، وترأس تحريرها.

كذلك برز اسم فواز الساجر كظاهرة مسرحية، إذ شارك في دورة مهرجان دمشق السابع بثلاث مسرحيات مهمة؛ "يوميات مجنون" باسم المسرح التجريبي، "رسول من قرية تميرة" باسم المسرح الجامعي، و"مؤسسة الجنون" لفرقة المسرح الوطني الفلسطيني عن نص لسميح القاسم.

في تلك المرحلة تزايدت لقاءاتنا وتقاربنا كثيراً، ربما بتأثير من فواز، لكن التهيّب الذي كنت أشعر به إزاء ونوس، لم يتناقص إلّا قليلاً، ربما لأن شعوره بعدم الرضا لم ينقص، بل ازداد، وعندما زار السادات إسرائيل يوم 19 نوفمبر (تشرين الثاني) 1977 اختفى سعدالله.

"في يوم كانت الشمس فيه متألقة جداً، ورغم أني كنت محبوساً في هذه الغرفة بالذات، وراء مكتبي وقد أغلقت كل النوافذ الخارجية والداخلية، فقد كنت أحس أن الشمس تنفذ من شقوق النوافذ وتدخل إلى الصالون، وكأنها عدوان خارجي على سكينتي الداخلية. جلست وكتبت "أنا الجنازة والمشيعون"، كان ذلك آخر نص تلته فترة من الصمت. بعد أن أنهيت كتابة ذلك النص قلت لنفسي: إني متعب وينبغي أن أذهب وأستريح بضعة أسابيع في مكان ما، ليكن حلب أو ليكن اللاذقية، ولكنني كنت شديد التوتر، وكنت أعلم أنني لن أستطيع أن أسيطر على نفسي. كان الوقت عند الغروب تقريباً، تناولت حبة منوم، وحاولت أن أخرج من حالتي بالنوم. بعد ساعتين أو أقل استيقظت أشد توتراً وضيقاً. كانت الظلمة شاملة أمامي. في تلك الليلة أقدمت على محاولة الانتحار الجدية".

كان من عادة سعدالله أن يستيقظ متأخراً، ولهذا حضّرت له زوجته فايزة شاويش القهوة وطعام الفطور، ثم ذهبت للمشاركة في تدريبات كانت تجريها على إحدى المسرحيات، وعندما عادت بعد الظهر فوجئت بأن كل شيء قد بقي على حاله، دخلت لتستجلي حقيقة الأمر، فوجدت سعدالله في الرمق الأخير!

اتصلت بالصديق حميد مرعي فحضر ومعه طبيب، فحص الطبيب سعدالله وطلب نقله مباشرة إلى المشفى، لأن جسمه كان قد تمثّل المادة المنومة، ولم يعد ينفع معه غسيل المعدة. لكن فايزة رفضت نقله إلى المشفى، منعاً للثرثرة، وتساءلت عن إمكانية معالجته في المنزل، فقال لها الطبيب إن هذا صعب جداً ومرهق جداً، ونزولاً عند رغبتها علّمها الطبيب كيف تقرصه كل ربع ساعة، كي تبقى أعصابه متيقظة، وأن تنقط له بعض الماء في فمه كل عشر دقائق. وقد استمرت معه على هذه الحال حتى أفاق من غيبوبته بعد ثمانٍ وأربعين ساعة. وقد قال لي سعدالله لاحقاً إنه قد بقي حياً حتى عودة زوجته من العمل بمحض المصادفة، ربما لأنه شرب زجاجة كاملة من الماء مع زجاجة المنوم! وقد أبقاه الماء حياً، ريثما جاءت زوجته وأنقذته!

هل الانتحار شجاعة أم هروب؟ لا شك في أن هذا السؤال يفرض نفسه بوقاحة على كل محاولة للانتحار مهما كانت خصوصيتها. لقد رافقت سعدالله في أكثر لحظات حياته حرجاً، وتيقنت بالدليل القاطع أنه يتمتع بشجاعة صامتة لا تثير الإعجاب وحسب، بل تدعو للاندهاش! وكل من قرأوا سعدالله جيداً يعرفون هذه الحقيقة. ففي نص "أنا الجنازة والمشيعون"، الذي كتبه سعدالله قبل ساعتين من إقدامه على محاولة الانتحار الجدية يقول: "من لساني المقطوع بدأت الهزيمة، وانطلقت الجنازة... من "لائي" المقموعة على امتداد الوطن العربي نفذ العدو، والانفصال، والفقر، والجوع، والسجن، والجلاد، والانهيار العربي المعاصر".

لقد نفّذ ونوس محاولة الانتحار الجدية تلك، لا لكي يهرب، بل لكي يتحمّل المسؤولية! كي يرغمنا على مواجهة مزيج المرارة والعار الذي يكوي أحشاءنا! أحس

بعجز الكلمات عن مواجهة العار والانهيار، فأراد أن يعزز كلماته بموته كي يدفعنا للوقوف في وجه الإذلال، لتحمّل مسؤوليتنا وتغيير حياتنا!

في الفترة اللاحقة قاوم سعدالله الاكتئاب بالقراءة والكتابة، أعد عدداً من المسرحيات: "توراندوت"، "رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة"، وأشرف على مسرحية "ثلاث حكايات"، لكن سفر فواز إلى الاتحاد السوفياتي عام 1982 من أجل تقديم رسالة دكتوراه حول "إشكالية تدريب الممثل العربي على ضوء منهج ستانسلافسكي"، دفع سعدالله لأن يقبل العمل كمسؤول عن القسم الثقافي في جريدة السفير مجدداً، وقد طلب منّي أن أتعاون معه في تغطية النشاط الثقافي الذي يجري في دمشق، فكثُر ترددي، خلال تلك المرحلة، على منزله في مساكن برزة المسبقة الصنع، وازددت انجذاباً إلى شخصه العذب، وعقله النيّر، وقلبه الدافئ البسيط الخجول!

خلال غياب فواز في الاتحاد السوفياتي لم يتوقف سعدالله عن العمل، فقد واصل الإشراف على المسرح التجريبي، وترجم "العائلة توت" للهنغاري اشتفان أوركيني، كما كانت له إسهاماته في الصحافة الثقافية، فقد كتب نصاً قيماً بعنوان "مع جان جينيه"، وألقى سلسلة محاضرات في المعهد العالي للفنون المسرحية تحت عنوان: في البحث عن مسرح عربي جديد. لكنه ظل صامتاً من الناحية الإبداعية.

انتعش سعدالله إثر عودة شريكه، وعندما أخرج فواز الساجر مسرحية سكان الكهف، اغتبط سعدالله للتحول الجديد في أسلوب فواز نحو الإنساني الأعمق والأكثر أصالة، لكنّه لم يخطر ببال أحد أن فواز في ذلك العرض كان يودّعنا بطريقته الخاصة!

في المشهد الأخير من مسرحية الوداع (أهل الكهف) تقول الملكة: "ما أجمل عزف الموسيقى! إنهم يرحلون، أحدهم رحل نهائياً. رحل إلى الأبد. لكي نبدأ حياتنا من جديد. ينبغي أن نعيش. نعم سيأتي عهدٌ ويعرف الجميع لأي غرض كان هذا كله؟ ولماذا هذه الآلام. لن تكون هناك أسرار، أما الآن فينبغي أن نعيش".

هكذا ودّعنا فواز الساجر! انسل من بيننا بموت مفاجئ أشبه بالخديعة، يوم السادس عشر من مايو (أيار) 1988، يومها ذهبت إلى سعد الله في بيته. تعانقنا و...، ومن يومها أصبحنا كشجرتين قذفت العاصفة بكل منهما نحو الأخرى، فتبادلتا المساندة! ثم تشابكت أغصانهما وتداخلت فروعهما حتى صارتا أشبه بشجرة واحدة لها جذعان متجاوران.

قد يبدو الربط بين حالة سعدالله الصحية والآمال الوطنية أمراً غير قابل للتصديق، لكنها الحقيقة فعلاً، فما إن تلوح بادرة أمل مهما كانت ضئيلة في الأفق حتى ينتعش سعدالله ويهبّ لينافح عنها ويسهم في تقويتها ولمّ الناس حولها!

طوال حياته، كان ونوس فلسطينياً بامتياز؛ ولهذا خلّفت المعركة الإعلامية التي أثارها بعض الكتاب المسيّسين حول مسرحية "الاغتصاب" شعوراً عميقاً بالمرارة في نفس سعدالله، وسممت جراحه التي كانت توشك أن تندمل؛ فالألم الذي لا تستطيع ضراوة العدو أن تقتله، قد يقتله ضيق أفق الأصدقاء.

عقب فوز ونوس بجائزة سلطان العويس انخرط في الحياة الثقافية بحيوية تامة، وأصدر مع كل من عبدالرحمن منيف وفيصل دراج كتاباً دورياً مثيراً للجدل بعنوان "قضايا وشهادات".

من يقرأ كتابات ونوس بعمق يستطيع أن يدرك إلى أي حد كان وطنياً وعربياً حتى الصميم! لكنه كان يتحرّج من إعلان ذلك بالطريقة الترويجية السائدة، لأنه كان يكره الإفراط في العاطفة على حساب العقل من جهة، ولأنه لا يريد أن يختلط صوته بأصوات المتاجرين بالوطنية والعروبة من جهة أخرى.

أعتقد أن معركة سعدالله مع السرطان تصلح مادة لكتاب عن قوة الروح البشرية المفتوحة على المطلق! غير أني سأحاول هنا تلمُّس أبرز معالم تلك المعركة، تاركاً الكثير من التفاصيل لمناسبة أخرى.

بعد جهد جهيد، سافر سعدالله إلى باريس للعلاج، ومن هناك كتب لي يقول: "أنا في البيت دائماً وهذه الـ (باريس) التي أحيا فيها الآن لا تربطها أي وشيجة بباريس الأخرى. باريس التي عشت فيها بعضاً من أبهى أيامي. في الصباح تستيقظ معي الكآبة، وعلقة من الخوف، علقة بيضاء بياض المستشفيات. أحسها في أحشائي، أحسها تنهض، ثم تنشط، ثم تبدأ بامتصاص أحشائي، حتى أحس أحياناً أني أذوب وأهترئ. نعم... من الخوف. هنا ازددت تقوقعاً على مرضي، وبدأت أدرك بصورة عينية رهبة أن يكون في جسدي سرطان، أو موت حي له آلياته الغامضة، وحيله الخفية".

وقد أجبته قائلاً يومها: "في آخر الليل عندما أتلمّس حقيقة نفسي في العتم الدامس، غالباً ما أراك قبل أن يلغبني النوم. أحياناً نتكلم، وفي معظم الأحيان ترتسم على وجهك ابتسامة ملغزة وتنسحب مثل هاملت الأب إلى ما وراء النوم. في آخر مرة تكلمنا فيها قلت لك: أنت محكوم بأن تعطينا دائماً. أملك ووحدتك وغربتك ومعاناتك ستبقى لك دائماً، مهما حاولنا أن نشاركك فيها! أما شفاؤك فسيكون لنا جميعاً!

قد يبدو هذا الكلام عاطفياً، كما لا أريد، فلست براغب في إفساد هذه الرسالة أيضاً، لكنه كلام عقلاني وصحيح! فقد غيّر مرضك حياة محبيك، وسيغيّر شفاؤك حياتهم بالتأكيد.

وأنا أثق، عميقاً، بقلبي، أنك ستخرج من امتحان الفيزيولوجيا، بهياً وقوياً ومنتصراً كما خرجت من كل الامتحانات المتوالية التي خُضتها في حياتك!"

إثر رجوعه من باريس، بدأ سعدالله يعاني تخلخلا في الأسنان وجفافا في الغدد اللعابية بسبب جلسات العلاج بالأشعة، مما زاد من صعوبة مضغ الطعام! لكن الشيء الذي كان يرهقه وينغّص عليه حياته هو أن كل ما كان يأكله أو يشربه له طعم واحد، هو طعم المعدن!

ورغم كل تلك المنغصات، فقد خرج سعدالله من الجولة الأولى بهياً وقوياً ومنتصراً!

فانغمس في الكتابة، وراح يكتب بغزارة وعمق أكثر من أي وقت مضى، كما لو أن احتكاكه بالموت قد فتح عينيه على ألوان الحياة المدهشة وغناها الذي لا يُحدّ. كتب: "يوم من زماننا" و"طقوس الإشارات والتحولات" و"أحلام شقية"، وفي أوج تألقه الإبداعي نكس السرطان في كبده هذه المرة. وعندما راجع الأطباء في باريس، أعطوه فرصة شفاء لا تزيد على خمسة بالمئة، وفرصة حياة لا تزيد على ستة أشهر!

"... يبدو أن عمرنا يجب أن يكون سلسلة متواصلة من الضربات، ولقد كانت الضربة الأخيرة موجعة بصورة، أشك معها في أنها كانت السبب المباشر في إصابتي بالسرطان. تلك الضربة هي حرب الخليج التي أجهزت على بقية الآمال الموجودة لدى العرب".

في هذه المرحلة، أصبح سعدالله يعرف أدق التفاصيل عن حالته المرضية، ويطرح على الأطباء أسئلة منطقية تحرجهم في كثير من الأحيان، وتكشف محدودية معارفهم، وتناقض تشخيصاتهم!

عاد سعدالله من باريس محطم الروح والجسد! كان قبل عودته قد دخل في جدال طبي - منطقي مع الأطباء المشرفين على علاجه، وقد وجّه لهم أسئلة لم يعرفوا الإجابة عنها! وربما كانوا صريحين معه بهذا الشكل الفظ، بسبب غيظهم من تماسكه وعقلانيته!

عندما دخلت عليه غرفة نومه، بدا لي للوهلة الأولى كما لو أننا قد أضعنا باب الكلام! أذكره في ضوء الغروب المتسلل من بين شقوق الأباجور، متربعاً في وسط السرير، حانياً عنقه كما لو أنه يدفع برأسه جداراً لا يراه أحد سواه! جلست إلى جواره، ربما لأن ساقي كانتا أضعف من أن تحملاني. أحسست لحظتها أنه ليس من حقي ولا من حق أحد أن يتطفل على رجل يعاني مثل هذا الألم النفسي الفظيع، أحسست أنه ليس بوسعي ولا بوسع أحد مهما بذل من جهود مضنية أن يفهم ما الذي يحسّ به رجل ضاقت فرصته حتى خمسة بالمئة! وتحددت حياته بستة أشهر.

غير أنني أحسست أيضاً أنه من واجبي كصديق أن أحاول معه كسر حلقة الصمت الذي ضاق حتى كاد يكون هامشاً للموت، يمتد فينا نحن الاثنين في آن معاً!

بدأ الكلام كمحاولة لإخراج شظايا الزجاج من اللحم الحي. بدأ الكلام دميماً وضحلاً. قلت كلاماً مفككاً، لكنني أذكر بوضوح أنني قبل أن أخرج قلت:

"رغم كل ما قيل، المعركة لم تنته بعد! أمامك خيار من ثلاثة؛ إما أن تقاتل دفاعاً عن حياتك، وتحاول توسيع الخمسة بالمئة، التي أنت مُحاصَر فيها، وهذا احتمال مفتوح، إذ حتى الواحد بالمئة عندما ينتصر يغدو مئة في المئة! الاحتمال الثاني، هو أن تضيف ما تبقى لك من قوة إلى قوة العدو! وهذا احتمال عبثي أشبه بالخيانة! أما الاحتمال الثالث، فهو ألا تفعل شيئاً، وأن تغرق نفسك في السلبية، ريثما يأتي شيء آخر ويغرقك! وهذا أمر يتناقض مع جوهر كيانك، ولا يليق باسمك"!

عندما عدت في اليوم التالي، وجدته جالساً على الهيئة نفسها، وعندما جلست إلى جواره قال دون أن ينظر إليَّ: "سوف نغلبه"!

وقد غلب سعدالله السرطان للمرة الثانية، واخترق المدى الأقصى الذي حدده له الأطباء الفرنسيون من ستة أشهر إلى خمس سنوات!

صحيح أن عيش سعدالله خلال السنوات الخمس الأخيرة من حياته كان "منغصاً بسبب جرعات الدواء الكيميائي التي كان يجب عليه أن يأخذها كل ثلاثة أسابيع! لكن إحساسه بالحياة كان أعرض وأعمق منه في أي وقت مضى!

يقول الحكيم الصيني لاو تسو: "الإنسان الحي ناعم ولد/ وبموته يصبح صلباً قاسياً/ الزرع الحي طري مطواع/ وبموته يصبح هشاً سريع الانكسار. / إذن الصلابة والقوة مقرونتان بالموت / والنعومة والرقة مقرونتان بالحياة/ الشجرة الكبيرة اليابسة مهيأة للفأس/ القوي الكبير سيسحق، والناعم الرقيق سيعيش!"

وقد عاش سعدالله بقوة رقتّه بدل الأشهر الستة خمس سنوات!

في حفلة سمر يدعو عبدالله للمقاومة مهما تضاءلت فرصتها! قائلاً: "من يريد أن يبقى فليأتِ نحوي! سنعلمهم أن الرجال لا توطأ كرامتهم إلا بالموت!"

وقد صارع ونوس السرطان دفاعاً عن كرامته الإنسانية، وأبدى في ذلك مقاومة بطولية مدهشة. لقد عولج سعدالله على نفقة الدولة وقد دفعه إحساسه بالمسؤولية لأن يستثمر كل لحظة من وقته، وكل نبضة من قلبه في الكتابة، حيث أنتج أثناء صراعه مع السرطان ثمانية أعمال مسرحية تأتي في صدارة أهم الأعمال في تاريخ المسرح العربي. وقد سألت سعدالله مرة عمّا إذا كان لشعوره بالامتنان أثراً في تحفيز كل هذه البسالة المدهشة في المقاومة والكتابة، فابتسم لي وقال: "يوجد شيء من هذا". والآن يبدو لي أكيداً أنه "يوجد الشيء الكثير من هذا" فسِرّ سعدالله ونوس الشهم الأبي، يكمن في مقدرته على تحويل الحب إلى قوة للحياة، كما يكمن في مقدرته على تكريس كل قوة الحياة من أجل الكتابة، للرد على الجميل بالجمال!

* كاتب وسيناريست من سورية.

«بين ما قبل الليلة الألف وما بعدها.. أيّها تختار؟»

مع أجهزة القصص القصيرة.. هل سيولد نمط جديد من النقد الأدبي؟

فتحية الحداد *

غالبا ما يتم تعريف القصة القصيرة بالارتكاز على محتواها الذي يوصف بأنه مُختزل المفردات وإن ذهب معنى الكلمة إلى البعيد أو غاص في العميق، وهو محدود الشخصيات، الزمن فيه موجز نمرّ عليه سريعا لتُقدر تبعات الحدث بحسب تأثيرها على مجرى القصة، ليبقى السؤال: ما هي المنافذ المتاحة للنقد الأدبي كي يخرج من مثل هذه الدائرة التي تحاصر القصة القصيرة وتعريفها؟

الخروج من رحم العمل الأدبي

الإجابة عن السؤال السابق تتطلب التأني في فهم رحلة الخروج من إطار العمل الأدبي وتبرير البحث في المحيط، الفيزيائي ربما، لتلتقي العلوم والأدب في فضاء "إنتاج القصة"، إن صحّ التعبير.

تعريف القصة "كمنتج" يرتبط - بلا شك - بالنشر وآلية الوصول إلى القارئ، وما يترتب عليه من علاقة بين النص والمتلقي. نحن إذاً بصدد ملاحظة الفضاء الخارجي للنص وما يدور حوله، وما دمنا قد تطرّقنا للعلوم، فلا بأس من الاستعارة من قاموس المختبرات لنصِف العلاقة بين النص والقارئ بأنها "التفاعل" الذي ينشأ بين المادة ومحيطها في وجود محفز ما قد يتمثل من خلال آلة أو جهاز.

القصة القصيرة وآلة الزمن

قد يبدو الأمر مبهما إن لم نتطرّق إلى حالة بذاتها، لهذا سنطرح النموذج المقصود والمتمثل بقصص تتاح للجمهور من خلال أجهزة مُبرمجة تمدّك بقصاصات طبعت عليها نصوصا يقترح الجهاز قراءتها وفق تصنيف وحيد، وهو زمن القراءة الذي يتراوح بين الدقيقة والدقائق العشر، لتختار ما يناسب وقتك. في هذه اللحظة، وعلى نحو ما، يبدأ سحر العمل الأدبي عندما يلتقي وقتك بزمن القصة وبتدخُّل من شريك ذلك وهو "الجهاز".

اصنع الأثر بكلماتك

هذه الأجهزة تُطرح في أماكن تستقبل جمهوراً يفد المكان بشكل مؤقت، كالأسواق مثلا وصالات الانتظار، ليكون الوقت عاملاً رئيساً في تبنّي فكرة إمداد القارئ بقصص قصيرة.

في السعودية اختارت هيئة الأدب والنشر والترجمة شعار "اصنع الأثر بكلماتك وشاركنا بقصة قصيرة"، ودعمت أجهزة مُبرمجة بقائمة من قصص مكتوبة بالعربية والإنكليزية والفرنسية، وزعتها في مراكز تجارية، ومنها ما نجده في الخفجي الحدودية، لتجد أن زائرا أو سائحا للمنطقة قد يأتيك بهدية تتمثل بقصة "القمر الأزرق" أو النص الفرنسي "الالتزام الكاذب"، أو غيرهما.

محفز القراءة هنا هو الآلة، التي ارتبطنا بها اليوم لتكون رفيقا لنا في مختلف مناحي الحياة اليومية والعيش، فتؤدي دوراً في توجيه هواياتنا ورغبة القراءة وتنميتها، فتقترح مثلا "زمن القراءة" على رواد المركز التجاري.

السوق، هذا الفضاء حريّ به أن يستنطق الناقد الأدبي ليحلل موقف القراء وطبيعة تجاوبهم مع التجربة، فهناك قارئ سينظر في القصة ربما حال تسلّمه للنص من الجهاز، وقد يختار آخر الجلوس في مقهى قريب ليغوص في القصة، أو أن ينتظر العودة إلى البيت، ولكن في كل الأحوال، فإن ما جذبه للقراءة الآلة واقتراحاتها.

الناقد الذي يخرج إلى فضاء الأماكن العامة متحررا من انغلاق يفرضه المجال، قد يصادف امرأة وقفت عند الجهاز. أخذت قصة وظلت في مكانها تقرأ ثم طوت الورقة واحتفظت بالنص في حقيبتها اليدوية وتركت المكان شاردة، وقد رسمت على وجهها ابتسامة استمدتها من حكاية قديمة عاشتها يوما ما.

الناقد قد يلاحظ أيضا اثنين يتأخران عند الجهاز قبل أن يستقر قرارهما على اختيار قصة يشتركان في قراءتها، فيبدوان وكأنهما في مشهد مسرحي. يتناوبان الأسطر القليلة من النص

فيؤدي أحدهما وبصوت مسموع لنرى مواهبه كممثل بارع، بينما يُظهر الآخر انفعالا متواضعا مُقيداً بخجل القراءة في الأماكن العامة.

إن تدخّل هذا النوع من الآلات في "إنتاج القصة القصيرة" أو في خطة التوزيع والنشر قد يخلق فئة من القراء وأيضا باحثين يدرسون اختيارات رواد المراكز التجارية، وقد نتعرف على نقاد يختصون بدراسة القصص التي تفرزها تلك الأجهزة، مثل قصة "القمر الأزرق"، التي كتبتها آمنة حربوش وتبنّت نشرها هيئة الأدب والنشر والترجمة في السعودية، فجاءت على النحو التالي:

"أخبرتني أمي بسرّ ما عندما كنت أبكي لمعرفة سر آخر كان بين إخوتي دوني:

أن القمر في الحقيقة مُشبع بالزرقة، لكنّه يفقد لونه ويكتسب الرمادي من حزن عين ما في المدينة كل ليلة. احتضنت أمي عيني بشفتيها بدفء، ثم همست في أذني أن (لا تبكِ، حتى لا تكون السبب هذه الليلة!) ثم - وككل شيء في الوجود - انتهى الأمر بشكل ساحر وشجي، حيث كنت أتعامل مع كل حزن آراه وكأنه (السبب هذه الليلة)، وأتمزق في سبيل رؤية الزرقة تداعب السماء، وحيثما ونيت لحزن بي كان (لا تبكِ).. وأنا لا أسأل مبعث لوني الرامد، إنما مبعث حزن العين في المدينة هذا المساء!"

الزمن وظله

رغم قصر قصة "القمر الأزرق"، فإنها نموذج لآلة الزمن التي تشير عقاربها إلى مجموعة أزمنة وكأن الثواني والدقائق والساعة شخصيات تتسابق نحو مستقبل يُخلّف ماضيا يُخلق في اللحظة، فأنت بعد قراءتك للقصة لن تكون الإنسان نفسه وهناك تغيير ما، وإن كان طفيفا أو هامشيا، تشعره بعد أن تأثرت وجدانيا، وربما بحثت عن سماء قريبة لترفع بصرك نحوها، تبحث عن قمر فضي أو لون رمادي هو ظل حزن ليلة طال فيها انتظار الأمل.

"القمر الأزرق" من قصص الدقيقة الواحدة التي يقترحها جهاز القصص، وهي بالتأكيد فترة تقديرية لقراءة قصة قصيرة، لكنها - بلا شك - دقيقةٌ قادرة على إثارة جملة أسئلة عن الوقت؛ سواء وقت القراءة، الكتابة، الزمن في القصة وتعاقب ظهور أو غياب القمر بين ليلة وأخرى، بل وحتى تعاقب الأسرار، بعد أن بدأت القصة بعبارة "أخبرتني أمي بسرّ ما عندما كنت أبكي لمعرفة سر آخر كان بين إخوتي دوني".

مشروع هيئة الأدب والنشر والترجمة في السعودية يبدو رائداً، حيث تؤدي أجهزة القصص القصيرة دورا في جذب رواد المراكز التجارية وتحفيزهم على القراءة وتعريفهم بالأدب الممثل بقصص مكتوبة بأكثر من لغة؛ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن هذا المشروع قد يكون فرصة للإبداع وإعادة احياء حكايات مثل "ألف ليلة وليلة"، وأخيرا، فهذا المشروع يخلق أيضا فرصة للناقد الأدبي ليتعرّف إلى نماذج متباينة يوحّدها جهاز القصص وزمن القراءة المقترح، فتؤدي القصاصات دورا يساند الكتاب المطبوع.

اختيار الناقد لنماذج من قصص يطبعها الجهاز ويمدّ بها إلى القارئ قد يكون بمنزلة التحدي، حيث يتطلب الأمر أحيانا البحث عن ثيمة أو أسلوب مشترك بين القصص، وهو الأمر الذي قد يُشجع القارئين على الثقافة بإشراك الناقد الأدبي في مشاريع القراءة بشكل مهني وإبداعي.

- ملاحظة أخيرة: قبل سنوات تعرّفت إلى مثل هذه الأجهزة بمعرض الكتاب في باريس، وربما كانت تلك عملية تسويقية للأجهزة في حينها.

النص الفرنسي:

الالتزام الكاذب

سحر المدني

في يوم ميلادي هذا، سأجعلكم تشاركونني أحزاني وآلامي، ذكرياتي الجميلة.

على عكس زملاء المدرسة، الذين يبتهجون للاحتفالات، فأنا لا أعيرهم أي اهتمام، في الواقع، أنا أحتقرها، أرى فيها الفراغ وعدم الجدوى. ما يُثقل كاهلي أكثر هو غياب كاهلي في هذا اليوم. يعطي الانطباع أنه يهرب من وجودي. لا أفهم ما الجريمة التي ارتكبتها ليبتعد هكذا، وكل ما أريده هو أن أرسم وأنسج قصصا من خيالي.

كل صباح، معلمي يقول لي بأني هادئ ومطمئن كما الفراشة. لماذا إذا يهرب من فراشته البريئة؟ هجره يؤلمني بشدة وبعمق.

كان انسحابه بصمت مقلق مُتعب، تاركا فيني انفجارات داخلية لا تهدأ وأسئلة ملحّة تطاردني ولا تهدأ أبداً، سواء في يقظتي أو في أحلامي.

عندما أكبر وأُرزق بولد، أقسم أني لن أتخلى عنه أبداً. سأكون رفيقه الوفي، ظله. أحميه من قسوة الحياة. سأظهر له حبي كل يوم وسأحتفل بعيد ميلاده وسأحتفل بكل ما يلامسه. أفضّل الموت على أن أؤجج نيران الفراق والشوق في قلوب أطفالي، فهذه النيران لا تنطفئ أبداً.

في يوم من الأيام، دخل والدي القبو ووجد ابنه يفتّش في الصناديق القديمة، ويثير غبار الزمن. سأله: ماذا تحمل في يدك؟ أجاب الطفل ضاحكا: يبدو أن هذه ذكريات طفولتك يا أبي. ماذا تقول هذه الذكريات؟ لم تعُد عيناي تعينني.

نظر الابن إلى الندوب المتناثرة على ذراعيه، الجروح التي اخترقت سطح الجلد لتتجذر في روحه، عنيدة كوشم لا يُمحَى. أجاب موبخاً: لا أعرف. كتاباتك لا تزال لغزا أجاهد لفهمه.

استذكر الكلمات وكفيسلوف قال في نفسه: "ليحذر مَن يحارب الوحوش أن يصبح وحشا هو الآخر"، وبهذه الخاطرة ألقى بدفتر الذكريات في طيّ النسيان.

* كاتبة وناقدة من الكويت

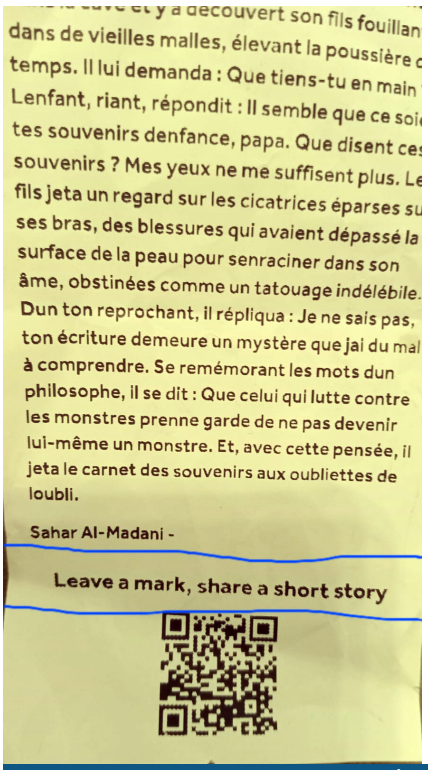

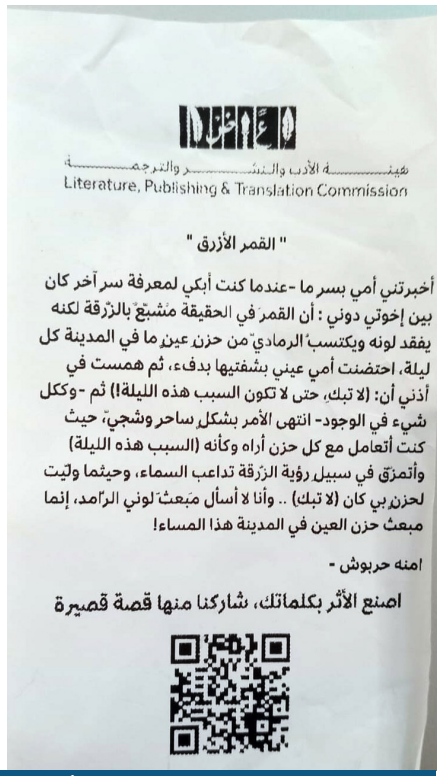

شعار المشروع

المونولوج كأداة للكشف النفسي والروحي

في رواية «سِفر التبّة»

شيماء الأطرم *

يُعدّ المونولوج أو الحديث مع النفس، من الأدوات السردية الجوهرية التي تمنح النص الأدبي بُعداً نفسياً وإنسانياً عميقاً. ومن خلاله يتمكن الكاتب من فتح نوافذ على العوالم الداخلية للشخصيات، حيث تتكشّف التوترات والانفعالات والتمزقات بعيداً عن الحوارات الظاهرة أو الأفعال التي لا تنفذ إلى جوهر الذات ولا تعبّر عن صراعاتها الداخلية.

في هذا السياق، برزت براعة سعود السنعوسي في رواية «سِفر التبة» بتوظيف المونولوج عبر شخصية سعدون الذي تجلّى حديثه مع نفسه كمناجاة روحية تمزج بين الألم والرجاء، بين العشق الإلهي والضعف الإنساني.

لكن ما يُكسب هذا المونولوج بُعداً أكثر تمزّقاً هو الخلفية الدرامية لشخصية سعدون، إذ نُفي من رحمة والده، وطُرد من محيطه الأسري، وحُرم من رؤية والدته بسبب انحرافه وسلوكه الضال، وهذا ما جعله يعيش قطيعة مزدوجة: قطيعة أسرية واجتماعية وأخرى روحية، فكان اللجوء إلى الله عنده ليس فعل توبة خالصة، بل نداء استغاثة أخير من نفس أنهكها الضياع.

في واحد من أكثر المشاهد تعبيراً عن هذا التمزق يقول سعدون: «أنا ما أحببت الخمرة إلا في كتابكَ وعداً، اشتهيته واستعجلتُ قِطافه، قبل أن أنعم به في جنّتكِ أنهاراً لذّة للشّاربين ... أحبك وأنت تدري، وأغارُ عليك ممن تُحِب، وأغارُ مِن خلقِك الهانئ بعفوك ورضاك».

ثم تتصاعد نبرة المناجاة إلى تساؤل عاتب:

«فلِم الهجر؟ قل لي.. وإذا هجرت فمن لي؟ ومن يُجمّل كُلي؟»

تُجسد هذه العبارات الصراع الحاد بين النزعة الروحية والغريزة البشرية، بين التطلع إلى الصفاء الذهني والانقياد خلف أهواء النفس ورغباتها، في حالة وجودية تتأرجح بين الرغبة في الخلاص والعجز عن مغادرة مواطن السقوط.

فالعشق الإلهي الذي يملأ قلب سعدون لم يُضعف سطوة الأنا المتغطرسة على نفسه، التي استحوذت على وعيه وأغرقته في التبرير، ولم تُمهل الأنا الأعلى فرصة للتدخل أو تقويم الانحراف، فظلّ سعدون يتأرجح بين نداء الروح وصوت السماء، وبين نداءات الـ «هو»، حيث الرغبات المكبوتة واللذات المحرمة التي تُغريه وتدفعه للانفلات.

وفي هذا الصراع بدا وكأن الأنا الأعلى قد انهار أو تلاشى، تاركاً المجال للأنا والهُوَ ليُحكما قبضتهما على قراراته ومصيره.

وهنا يتجلى عمق المأساة النفسية لشخصية سعدون، فهو ليس متمرداً على الله بقدر ما هو غارق في صراع داخلي بين جزء فيه يتوق إلى الخلاص وجزء آخر يرفض أن يُدان، فيُمعن في العصيان.

شخصية سعدون ليست مجرّد نموذج لشخصية ساقطة أخلاقياً أو مضطربة نفسياً، بل هي مرآة للإنسان في أقصى حالاته تعقيداً.

يمزج سعود في هذه المناجاة أو المونولوج تساؤلات سعدون بإيقاع شعري مُستلهم من قصيدة الشاعر الحلّاج، في تناغم فني عميق يجعل من هذه اللحظة اعترافاً وجودياً لا مجرّد بوح عاطفي، إنها لحظة مواجهة الذات، حيث تتجلى الهوية المتأرجحة بين القداسة والدنس.

المونولوج الذي كتبه سعود ليس مجرّد تقنية سردية، بل نافذة على الروح، تُظهر الصراع الداخلي في أنقى صوره، وتقدم تجربة إنسانية صادقة تفيض بالحيرة، والندم، والتوق إلى الغفران.

* قاصّة وكاتبة من الكويت

للفنان التشكيلي بشير آمال - المغرب

شعرية البياض في القصيدة العربية الحديثة

نحو جماليات التشكيل البصري والدلالي

جواد عامر*

اتسمت الشعرية العربية المعاصرة بتعدد الروافد المؤثرة في تشكيلها الجمالي والفني والدلالي، فما بين رافد تصوفي وفلسفي ومؤثر دادئي وسريالي وناظم رؤيوي ومحركات مدرسية أفرزتها الأدبيات الغربية، وأنساق نظرية جديدة، أخذ المعمار النصي يبني أنساقه الجمالية بطرق مختلفة، سيعمل الفكر ما بعد الحداثي على الإسهام في تشكيلها تشكّلاً جمالياً جديداً اخترق المنحى البصري المألوف، مرسياً مفاهيم التشظي والتكسير والتشكيك والفوضى واللامألوف، وهي مفاهيم التقطها الشاعر العربي ووجدها صالحة للغرس في بنية النص الشعري للتعبير عن رؤيته الوجودية وعلاقته بالواقع غير السوي. ومثلما ستشكل التنافرات واضطراب العلاقات النحوية والرمزية والشحن والتكثيف الدلالي عناصر فنية في تشكيل المعمار النصي للقصيدة الحديثة، ستسهم لعبة السواد والبياض في خلق مساحات جمالية بصرية لجأ إليها الشاعر العربي في لحظات إبداعية استلزمت الصمت لما فيه من بلاغة وقدرة على التبليغ أكثر من الكلام أحياناً.

إن لجوء الشاعر العربي الحديث إلى البياض لا يتم في لحظة عجز لغوي، كما ذهب بعض الدارسين ممن تحاملوا على الحداثة الشعرية، ووجّهوا لها سهام نقد لاذعة في هذا الجانب، فالصمت لغة كما يقول ميرلو بونتي، وتوظيف البياض وإعلاء بلاغة الصمت كجزء من معمار النص لا يمكن أن نحكم عليه بالعجز عن تشييد معمار اللغة التي شكلت الهاجس الأول للشاعر العربي الحديث.

يقول الأستاذ محمد عدناني: "خرج الشعراء مهشمين من صراعهم مع اللغة، ودفعوا إلى الهامش لمّا لم يقتدروا على امتلاك ناصيتها، ولم يكن الابتلاء ببلية النظم كافيا، ولا الإصرار على الكتابة شفيعا أمام ضحالة ثقافتهم وهزال الصمت والاحتفاء بالبياض بديلين عن العجز ظنّا من الشعراء أنه خيط نجاة يجذبهم من المأزق الذي أوقعهم فيه نضوبهم المعرفي، ولم يدركوا أن هذا التوجه يقود حتما إلى الفراغ أو الخواء الدلالي؛ سواء في شكل التعقيد أو التغامض أو التشتت، ولا اختلاف بين هذه المصطلحات، فالبلية واحدة" (1).

فلا بُد أن تعالي النص الشعري الحديث بميكانيزماته الفنية التي اخترقت حدود الأنساق المألوفة في الشعرية العربية، خاصة ما يتعلق بتشييد العالم اللغوي، حيث يتسيد المشهد اللغوي عناصر فنية، كالتنافرات وغياب العلاقات النحوية، وغياب مرجعية الضمير وشحن وتكثيف الأبنية اللغوية، وغيرها من الممارسات التي منحت النص الشعري نوعا من الترفّع، وجد معه القارئ صعوبة في تأويل النص أحيانا لتمنع الدلالة وأسهم تعدد الروافد المعرفية والتحاف القصيدة بالرؤية، وميلها نحو الإنشائية والتغريب في خلق التوتر بين القارئ والنص، وهذا أمر لا ينكره أحد على الإطلاق، فهو جزء من تكوين الثقافة الإنسانية التي لا تعلن أحيانا عن نفسها بشكل سهل وبسيط، مادامت تتطلب من قارئها أن يكون مدججا بالأسلحة المعرفية، وأن يرتفع نحو النص لينطقه بما لم ينطق به صاحبه في إطار حواري متفاعل بين المنتج والقارئ، وإلا فقد النص الشعري جزءا من قيمته الإبداعية وانحدر إلى درجات من الإسفاف حين ينطق بكل شيء.

ثم كيف يمكن أن نتهم شعراء الحداثة الكبار ممن لجأوا إلى البياض وأبدعوا في إنطاق الصمت الشعري بالعجز الشعري؟ فالسياب وصلاح عبدالصبور والبياتي وسعدي يوسف شعراء وظّفوا البياض في قصائد كثيرة، فهل يتهم مثل هؤلاء بالعجز الشعري؟!

ولنا في تجربة أدونيس ومحمد بنيس ما يدلّ على أن الصمت شكّل جزءا من شعرية القصيدة عندهما، وخصوصا أنهما من الشعراء الذين امتلكوا وعيا نظريا بالأصول الابستمولوجية الأم التي أثمرت قطبا فنيا وجماليا عُرف في الأدبيات النظرية باسم البياض الذي احتوته النظرية الألمانية التي نبعت من جامعة كونسانطس المعروفة بنظرية جمالية التلقي، وقد كان للفلسفة الظاهراتية نصيبها في تشكيل الجذور الفلسفية ووضع الأسس الإبستمولوجية للنظرية في كليتها.

إدراك لحظي

فمعروف أن الفينومينولوجيا تؤمن بأن الفهم الذاتي الخالص يكون من وعينا للشيء المدرك، لذا فإدراك المعنى هو إدراك آني لحظي ينتج عن شعورنا القصدي تجاهه، ومن هنا، فإن إدراك الأشياء عند إدموند هوسرل لا يكون خارج حدود الوعي، لأن الذات ليست منفصلة عن العالم، وإنما هي كائنة فيه، وبالتالي فالبياض والنص عموما - وفقا لهذا التصور الفينومينولوجي - يُدْرَك من خلال التفاعل بين الذات الواعية/ القارئ والموضوع، كما أن هيرمينوطيقا شلاير ماخر شكّلت أساسا نظريا ومعرفيا مهما لنظرية التلقي، ليس فقط من حيث تجاوزها للحد اللاهوتي وانفتاحها على نصوص مختلفة، وإنما من حيث اشتغالها القائم على الفعل التأويلي نفسه، وليس على النتائج هذا الفعل، مادام أنها تسمح بتعدد الفعل الهيرمينوطيقي، فلا يمكن البتّة أن توقف نفسها عند حدود ما أسفر عنه الفعل بالقدر الذي ستولي فيه الأهمية للفعل ذاته.

وبناء على هذه المنطلقات استطاعت نظرية التلقي أن تعيد الاعتبار للقارئ الذي ظل مهمشا في الأدبيات البنيوية، وأن تشيّد معمارا نظريا ستلتقط منه الأدبيات النقدية أدواتها النظرية والمنهجية في التعاطي مع النصوص، مثلما سيعمل المبدع العربي روائيا ومسرحيا وقصاصا وشاعرا على تبنّي الأسس النظرية التي جاءت بها جمالية التلقي الألمانية، خاصة شعراء الحداثة وما بعد الحداثة الذين وظّفوا البياض الذي سار بالنص في اتجاه تشكيلات بصرية متنوعة اللوحات، جعلته يتخطى النمطية البصرية التي اعتادها القارئ العربي عبر التاريخ الشعري الذي رسم حدودا بصرية للنص كان اختراقها جدّ محدود عبر نماذج المسمطات والمخمسات في العصر العباسي والموشحات الأندلسية توظيفا واعيا بالحدود التي رسمها إنجاردن قبل طوما سياوس وفولفا نغإيزر الذي أثرى مفهوم البياض عند إنجاردن، ليتمكن الشاعر العربي من خلخلة هذا النمط الصوري وبناء معمار شعري حداثي كسر البصري المألوف، ولعل التأثير الغربي كان قويا في خلق نسق شكلي جديد ستتبناه الشعرية الحديثة مع شعراء فطنوا إلى أن البياض يمتلك قدرة على التعبير عن رؤية فلسفية ووجودية من العالم، فكان كل من مالارميه ورامبو الاسمين البارزين في الثقافة الغربية لما كان لهما من بليغ الأثر في هذا التوجه الشعري الذي سلكه شعراء الحداثة العرب.

يقول رامبو "أيا نفسي، لا تصنعي القصيدة بهذه الحروف التي أغرسها كالمسامير، بل بما تبقى من البياض على الورق" (2).

ويقول مالارميه: "لتنظيم الكلمات في صفحة مفعول بهي، إن اللفظة الواحدة تحتاج إلى صفحة كاملة بيضاء، وهكذا تغدو الألفاظ مجموعة أنجم مشرقة، إن تصوير الألفاظ وحده لا يؤدي الأشياء كاملة، وعليه، فالفراغ الأبيض متمم" (3).

صناعة المعنى

من هنا يبدو أن البياض في القصيدة ليس مجرد فراغات لم يملأها السواد أو مجرد حواش بيضاء لم تملأها الحروف، إنه صناعة للمعنى المسكوت عنه، وإتمام له من قبل القارئ المطالب بالإنتاج، معتبرا أن النص آلة كسولة تحتاج إلى قارئ نموذجي قادر على تحيين دلالاته، كما ذهب إلى ذلك السيميائي الإيطالي إمبرتو إيكو، فحضور البياض وتوظيفه في جسد النص ليس عجزا لغويا من الشاعر العربي الحديث الذي يمتلك ناصية اللغة، وهو الذي استلهم التراث الشعري العربي وهضمه وغذّاه بثقافة شعرية غربية كانت قوية الأثر في توجيه تفكير الشاعر العربي الحداثي، لأن البياض أحيانا في بُعده الثقافي قد يمثّل صمتا للصوت الشعري الذي لا يستطيع أن يبوح بالمكنون، فيترك المساحة النصية صامتة في محاورة تسمح للقارئ بالتدخل لممارسة حقه في التأويل أو فك التشفير، أو لأن الصمت قد يكون أحيانا أكثر قدرة على التعبير في إطار شعري جديد يُعرف باسم "الشعر الصامت" تماما كأدب صامويل بيكيت الذي عدّه بعض النقاد نموذجا لأدب الصمت، وعدّ مالارميه القصيدة المثالية هي القصيدة الصامتة من بياض تام، لذلك قد يكون هذا اللجوء اضطراريا لدى الشاعر العربي المطالب بالحذر حين يكتب نصوصه، خاصة حينما يتعلق الأمر بأصناف من الخطابات التي يصعب اختراقها في البيئة العربية، إذ يشكّل الخوف من السلطة عاملا أساسيا في ممارسة اللغة للعبة الإخفاء عبر الاستعارات والكنايات والترميزات ولاشتغال البياض، وقد يكون لرغبة بعض شعراء الحداثة بالتعالي عبر ممارستهم اللغوية التي يرون أنها

تستوجب نوعا من الترفع عن اللغة القريبة المتداولة بين العوام، حتى تكتسب القصيدة شعريتها وتتعالى بها عن بقية الأنساق اللغوية العامة التي تشكّل متنا خطابيا للغة العادية، فيكون البياض جزءا من التشكيل المعماري للنص لا عجزا منه على الإتيان باللغة والتعبير بالكلمات، وإنما يتخذه نسقا فنيا يستطيع أن يشكّل عبر قناة الصمت محاورة بناءة شديدة التفاعل بين الشاعر والقارئ، فيتحقق البعد الجمالي بالمعنى الذي طرحته أدبيات التلقي مع إيزر.

وقد يتخذ هذا البياض، في أغلب أحواله، شاكلة نقط الحذف أو ترك مساحات بيضاء لا يشغرها السواد يكون القفز عليها من قبل الشاعر أو عدم تكملة تركيب شعري يستشعر القارئ أنه في حاجة إلى تكملة، وقد يأخذ شكلا هندسيا تتوزع فيه الكلمات والحروف توزيعا خاصا وفق هندسة صورية يرمي من خلالها الشاعر إلى إبلاغ دلالة ما، فيظهر مدى تأثّر الشاعر الحداثي بالشكلانية والبنيوية اللتين ركزتا على أدبية النص، وجعلت اللغة مقصودة في ذاتها، الأمر الذي جعل المعنى في عرفهما غير ذي أهمية، لأن الأهم عندهما هو كيف تقول وليس ماذا تقول، مما يجعل البُعد الإنشائي والأدبي هو السمة المميزة للنص.

شتات وارتباك

ولا بُد أن الشاعر العربي الحديث وهو يتلقف الأدوات النظرية والمنهجية لمثل هذه المدارس كان لا بُد من أن يظهر تأثيرهما في عمق التشكل الإبداعي للقصيدة، فبعض شعراء الحداثة لا يمكن أن ننكر أنهم سلكوا باللغة طريقا أكثر إيغالا في التجريب حتى أصيبت اللغة الشعرية بنوع من التشظي والارتباك الذي أفقد النص دلالته الشعرية، وأصابه إما بالشتات أو الغموض أو سلك بها طريقا نحو فوضى التأويل التي لا تتوقف. لذا، فتوظيف البياض بحمولته الجمالية تطلّب من الشاعر العربي براعة ووعيا نظريا بحدود التموضع والتمييز بين البياض والفراغ في العرف النقدي المدرسي في إطار يتجاوز حدود ما توقّف عنده إنجاردن الذي اعتبر البياض ومواضعه شبيهة بمواقع للإبهام، في حين أن إيزر اعتبره آلية للتفاعل بين المنتج والمتلقي، فلم تعد وظيفته هامشية، وإنما تحتاج إلى ملء دلالي من أجل تفاعل الأنماط النصية.

هذا الطرح النظري سنلمسه في إبداعات عربية أنتجتها أسماء كبيرة في العالم العربي استطاعت أن تجعل من البياض سمة جمالية تكتسب قيمتها من الجانبين البصري والدلالي، إيمانا من الشاعر العربي بعدم انفصال الدلالة الشعرية عن الجانب الاستيطيقي، فالقصيدة لم تعد مجرد ملفوظات تتشكل فونيتيكيا، وإنما هي توزيعات هندسية تمليها دلالات شعرية أنتجها سياق ما من السياقات الموضوعية أو الذاتية، فالشاعر العربي حين يلجأ إلى البياض فإنما يوظفه بدهاء، ففي قصيدة "الزيارة الطويلة" لسعدي يوسف يظهر التشكيل البصري المحكم المتلائم مع الدلالة الشعرية، حيث يصير توزيع الحروف هندسيا قوي الدلالة يقول: (4)

يهوي منزلقا عن ظهر الأفعى
وسيأتي القمر
ويسيل حليب نحاس
ي ي ي ي
ق ق ق ت
ط ط ط ق
ر ر ر ط
رُ

لا بُد أن القارئ سيلحظ هذا التوزيع الجميل لحروف كلمة يقطر التي جعلها الشاعر حروفا تتقطر فعلا كنقط تتساقط وفق نظام بديع يدل على وعي جمالي يمتلكه الشاعر العراقي الكبير، حيث يظهر النص ضئيل الحجم شبيها بصورة قطرات تنحدر من الأعالي للأسفل، وإذا نظرنا إلى قصيدته "وطني" التي يقول فيها: (5)

وطني ! إذا ما الليل أظلم وادلهمّ الأفق يوما
فالشعب يعرف كيف يزهر في الليالي السود نجما
شعبي... لك الآفاق واسعة لك الإصرار شهما
راياتنا خفقت.. فأية خفقة أسنى وأسمى؟

خدمة الدلالة الشعرية

إن البياض الذي تشكّله نقط الحذف مقصود لذاته من أجل خدمة الدلالة الشعرية التي تنسجم مع موضوع الفخر والاعتزاز بالوطن، فتركه للبياض بعد كلمة شعبي استخدام غاية في الذكاء الشعري، ليترك المساحة للقارئ كي يملأها بما شاء من توصيفات تليق بمقام الشعب، فلم يشأ أن ينعته بالكرم أو الشجاعة أو الشموخ أو غيرها من الأوصاف المحمودة، لأن المساحة النصية لا تتسّع، ولأنه لا يجرؤ على اختيار وصف أو وصفين، فيكون بذلك قد أقصى غيرها من النعوت، فيجر عليه ذلك غضب القارئ العراقي، فجعل البياض مساحة ينطقها القارئ بما ارتضاه من أوصاف لنفسه.

وفي تعبيره عن الرايات الخفاقة، ترك البياض على نفس الشاكلة السابقة، ليشحنه العراقي بما شاء من تعبيرات ترفع من شأن الوطن، فلم يشأ الشاعر أن يملأه بنفسه خوفا من نسيان أو إهمال تعبير يليق بمقام الوطن مما يكسب هذا التوظيف بعده الدلالي والجمالي، وفي قصيدة للشاعر العراقي صاحب الشاهر، يتبدى بجلاء هذا التلاحم المثالي بين القطبين الدلالي والجمالي، في قصيدة عنوانها "قصيدة أخرى تأكل نفسها" (6)

سيدي الحب أملى عليّ القصيدة مبتلة بالرصاص فصحت: اخطئيني
سيدي الحب أملى عليّ القصيدة مبتلة بالرصاص فصحت
سيدي الحب أملى عليّ القصيدة مبتلة بالرصاص
سيدي الحب أملى عليّ القصيدة مبتلة
سيدي الحب أملى علي القصيدة
سيدي الحب أملى علي
سيدي الحب أملى
سيدي الحب
سيدي

لقد نجح الشاعر العراقي في منح نصه جماليته البصرية من خلال هذا التشكيل الهندسي للسطور المتآكلة، والتي استطاعت أن تعبّر فعلا عن عنوان القصيدة الذي أوضحت علاماته فعل التآكل الذاتي العاكس للواقع العربي الآخذ في أكل نفسه وتهشيم قيمه وتحطيم مقدراته، مما يجعل البصري في النص الشعري يتجاوز أحيانا ما بين الدال والمدلول من علاقة ترميزية، ليتحول أحيانا إلى الدلالة نفسها في نوع من التعالي عن الوساطة بين الشكل والمعنى.

صناعة فنية وجمالية

إن البياض في النص الشعري الحديث صناعة فنية وجمالية لا عقم لغوي من شاعر عربي يعيش في واقع متشظٍّ، ممزق، متآكل، متهشم، انهارت فيه العلاقات وتنافرت فيه الأجزاء، وتحكمت فيه أيديولوجيات برمجت الإنسان وأخذت تقوده وفق منطق قيادة القطيع، واقع أملته إشراطات الحداثة وغذّته قيمها الجديدة، فكان لا بُد للمعمار اللغوي أن يعبّر عن هذا الواقع الذي رفضه الشاعر العربي، فوجد في الجوهر المؤسس للشعرية، وهو اللغة، ضالته لتكون وسيلته نحو الإفصاح، سواء عبر اللغة نفسها أو عبر الصمت وجماليات البياض الذي أسهم في خلق تفاعل حقيقي بين القارئ والشاعر يسير في اتجاهات متعددة، يتجاوز ذلك التفاعل الأحادي الذي أرسته الشعرية العربية القديمة، فكانت الدهشة وطرح السؤال والبحث عن الحقيقة في القول الشعري من أهم مظاهر التفاعل الذي خلقه البياض داخل أبنية الشعرية الحديثة.

الهوامش

1. محمد عدناني... عالم الفكر، مج 34 يناير/ مارس 2006، ص 104.
2. محمد بنيس... ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب، مقاربة بنيوية تكوينية، دار توبقال للنشر الدار البيضاء، ص 100.
3. المرجع نفسه... انظر محمد عبدالرحمن القعود، عالم المعرفة، الإبهام في شعر الحداثة مارس ص 279 ص 285.
4. سعدي يوسف... الأعمال الشعرية، مج 3 ص 349.
5. ميشال خليل جحا... الشعر العربي الحديث من أحمد شوقي إلى محمود درويش، دار العودة، بيروت، ط 1 سنة 1999، ص 430 ص 431.
6. حاتم الصكر... مواجهات الصوت القادم، دراسة في شعر السبعينيات، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد - 1986 ص 250.

* باحث من المغرب.

الروائي طالب الرفاعي: أمضيت نحو عام ونصف في إعداد الرواية وكتابتها

«تقاسيم الصَّبا».. تستحضر صاحب النهمة الخالدة

المحرر الثقافي

في أحدث رواياته وأعماله الأدبية "دوخي.. تقاسيم الصَبا" عن دار ذات السلاسل؛ يعيد الروائي الكويتي طالب الرفاعي إحياء صوت الفنان الراحل عوض دوخي، في سبر طويل بين تفاصيل من سيرته وبنوافذ بين لحظات الطفولة البسيطة وأصداء البحر وتأثيرات صوته وإطلالات مشهدية على لحظات فارقة وإبداعية حتى الساعات الأخيرة من حياته، في رواية تتعقب السيرة وتكتب انعكاساتها في نسق أدبي متكامل تتشابك فيه النهمة الخالدة مع طموحات الشاب واعتمالات المرض وخيبات الدرب وتمظهرات "الصاحب" الرفيق، مواكبةً للمحات متوالية من التحولات الاجتماعية في الكويت، وتتنقل بين تقاسيم أصدائها على مجتمع كامل.

في حوار قصير خاص دار معه، أشار الرفاعي، لمجلة البيان؛ إلى أن سبب اختياره للفنان عوض دوخي هو أنه "كان أحد أهم الأصوات المجددة في الغناء الكويتي والخليجي، وكان أكثرهم التصاقاً بالتراث البحري، وأحرصهم على تطوير الأغنية الكويتية بانتمائها العربي وتقديمها بشكل جديد، لذا استحق بجدارة أن يكون نوخذة الطرب".

وحول ولادة فكرة كتابة الرواية، أشار إلى أنها بدأت منذ سنوات طويلة، موضحاً: "منذ عقود وأنا أفكّر في كتابة رواية عن المبدع عوض دوخي، فمنذ طفولتي وأنا مُولع بأغانيه، وزاد هذا الولع حين كنت شابًا أدرس في كلية الهندسة والبترول بجامعة الكويت، وأخذ تعلّقي بأغاني دوخي بُعدًا آخر خلال دراستي العليا في أميركا وإنكلترا، حيث كانت

(النهمة) تأخذ روحي إلى الكويت وتبكيني، لذا ففكرة الرواية تدور في رأسي منذ عقود، وفي العام الماضي جاءتني الفرصة لكتابتها".

وأكد الرفاعي تعدّد المصادر التي استعان بها، والتي شكّلت المادة الأساسية التي انطلق منها، مسترسلاً في كتابة السيرة الذاتية أدبّياً، وحدّدها قائلاً: للكتابة عن شخصية فنية معروفة وخالدة في ذاكرة الطرب العربي الأصيل جمعت المصادر عبر أربع مراحل؛ الأولى، من خلال جمع كل ما كُتب في الصحافة المحلية والعربية عن الفنان، والثانية، من خلال الاستماع ومشاهدة الفيديوات المتوافرة على منصة يوتيوب، سواء كانت له شخصيًا أو لأخيه الموسيقار د. يوسف دوخي، أو أي مقابلة أو لقاء إذاعي أو تلفزيوني يخصّه.

أما الثالثة، فمن خلال التواصل مع عائلة الفنان دوخي الأعزاء، وجمع كل ما يمكن عن شخصه وعاداته وسلوكه الإنساني بين أسرته وأهله وأصدقائه.

والوسيلة الرابعة، عبر التواصل مع الشعراء والفنانين الذين تعاونوا مع دوخي، من أمثال الشاعر بدر بورسلي، والموسيقار د. يوسف الرشيد، وكذلك د. فهد الفرس والباحث الموسيقي د. أحمد الصالحي".

وبيّن أن المدة التي استغرقها العمل بين فترتَي التحضير والكتابة أخذت نحو عام ونصف العام، حتى رأت الرواية النور.

التعلق بالسير الذاتية

وضمن عشرات الروايات والمجموعات القصصية ومئات المقالات التي كتبها الرفاعي؛ حافظ على حضور "السير الذاتية" ضمن مؤلفاته، كما في رواية النجدي، وكتاب عبدالرزاق البصير، وإسماعيل فهد إسماعيل، وعبدالعزيز حسين، وأخيراً برواية دوخي. وحول هذا التعلّق قال: "أنا مؤمن بأن قراءة التاريخ قراءة تعتمد على الوثائق، بينما كتابة رواية السيرة الذاتية تعتمد على الإنسان، في شقائه لاجتياز رحلة الحياة.

وبالنظر إلى إعجابي وتقديري لشخصيات متفرّدة في تاريخ الكويت، لكونها استطاعت أن تترك خلفها إرثًا اجتماعيًا وإبداعيًا وثقافيًا إنساني النزعة، فإن هذا الإعجاب يأخذني للكتابة عنها، وكتابة رواية تحديدًا، وذلك لقناعتي بأن الرواية أحد الأجناس الأدبية القادرة على أن تحوي بين جنباتها التوثيق والتاريخ والحدث الشخصي، ويمكن لكل هذا أن يأتي بشكل مشوّق يضمن إقبال القارئ عليه".

تُرجم الكثير من إصدارات الروائي الرفاعي إلى لغات عالمية مختلفة، كالإنكليزية، والفرنسية، والألمانية، والإسبانية، والتركية، والصينية، وعلّق على ذلك قائلاً: "شيء من سعادتي يأتيني حين ترى أعمالي الروائية الترجمات لمختلف لغات العالم، وبهذا أحمل إرث وثقافة وفن بلدي إلى مختلف شعوب العالم، بشكل روائي مشوّق وناطق بالحقيقة".

مشاريع ثقافية ووطنية

يُذكر أن حضور الرفاعي لا يقتصر على الإبداع الفردي فحسب؛ بل يمتد إلى تأسيس خط متكامل ومشروع ثقافي متواصل، سعى من خلاله إلى خدمة وطنه عبر عمله الطويل في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب والعديد من المبادرات والأنشطة، حيث أسّس ومجموعة من الأدباء؛ على رأسهم الروائي الراحل إسماعيل فهد إسماعيل، والروائية ليلى العثمان، الصالون الأدبي (الملتقى الثقافي)، الذي يستضيف مفكرين ومبدعين ومثقفين من الكويت والوطن العربي والعالم، وتُنظم لقاءاته منذ عام 2011 وحتى اليوم، وتوثّق فعالياته في كتاب مع نهاية كل موسم ثقافي.

كما أنه عمل على إطلاق جائزة متفردة في مجالها، وحازت حضوراً عربياً متفرّدا بتميّزه بين الجوائز الأدبية، في ظل مجلس أمناء عربي ولائحة جائزة ولجنة تحكيم محترفة، وهي جائزة الملتقى للقصة القصيرة عام 2015، بالتعاون مع بعض الجامعات في دوراتها الأولى، وبرعاية "الوطني للثقافة" في دورتها السابعة عام 2025.

اجتاز الرفاعي اجتاز برنامج «الكتابة الإبداعية العالمي-International Writing Program» في جامعة آيوا- University of Iowa بأميركا، كما حصل على شهادة ماجستير احترافية في الكتابة الإبداعية «Master of Fine Art Writing» من جامعة كنغستون لندن- Kingston University London، ويقوم بتقديم دورات وورش متخصصة في "الكتابة الإبداعية" في بعض الجامعات والمراكز الثقافية.

- أكتب عن شخصيات بلدي التي أعتز بها وتركت بصمة باقية على مرّ الزمن

- يشرّفني ترجمة أعمالي الروائية إلى مختلف لغات العالم

- جمعت مصادر الرواية عبر أربع مراحل

- مولعٌ منذ طفولتي بأغاني الفنان عوض دوخي

أحدث روايات خالد النصرالله

«الطواف حول النخلة».. سيرة طفلٍ قرأ النهر

خالد النصرالله

كما يعبّر بعض النقاد المعاصرين عن الأدب بأنه «لا يعكس الحياة بقدر ما يعيد ابتكارها»؛ جاءت رواية خالد النصرالله الجديدة بعنوان «الطواف حول النخلة» عن دار الساقي للنشر، حول الطفل طَرَفة، الذي يبلغ الرابعة من عمره، والذي يعثر على كتاب ساحر، فتشتعل شرارةُ حبّه للقراءة، حين «تخيّل النهرَ سجادةً خضراءَ... فسقطَ فيه».

ظلال النخلة.. "حيّاك"

نشر النصرالله مقطعاً من الرواية: "لم أعتد غيابه هذا. كأن أحدنا قد قتل الآخر، مثل طلقة نافذة من فوهة تصيب رأسك في جزء من ثانية تطفئ الدنيا، ليتها تصيبني. همستُ لنفسي، ثم أطلقتها: "ليتها تصيبني!" كنتُ كلما التقيت بجواد، أنظر إليه وفي محياي قول يفضحني: "أمن أخبار؟" باستطاعة الآخر معرفة المستجدات بفعل ارتباط تجاري سابق، امتد رغم رحيل طَرَفة، من خلال أخيه صلاح الذي تولى الإدارة بعده.

يداري جواد أساه، يجيب: "لا تقلق..." ثم ينفض عن نفسه الخيبة: "لا بُد أن يعود يوماً ما"، لم أرغب بالتحدث إلى إخوته أو أبنائه، لن يكونوا أفضل منّي حالاً إثر هذا التلاشي المفاجئ.

بعد سنة من العدم، كانت الحياة تسير على أبطأ ما يكون، لم تدمل جراح ولم تبرح الذاكرة أية لحظة، كل الأشياء حاضرة بحقيقتها، دون ستار، دون مجاملة.

كنتُ أبحث عن مكمن القسوة التي تخامرني، ربما عدم مقدرتي على اختيار وقت ظهوري ووقت الاختفاء، ربما حين يعلق سؤال فأحتاج إلى إجابة حاسمة، أرفع سماعة الهاتف، ثم لا شيء.

سنة أخرى صمّاء، لا مفر من اللجوء إلى رواياته وأشعاره ولقاءات إذاعية مسجلة على أشرطة كاسيت، أعود لأسمع صوته، لحنه المخملي، أستخلص من إجاباته إجابات عن أسئلة أخرى، أقرأ كل ما قرأته من جديد، أبادله حواراً حول سطر، فكرة، حول خطأ مطبعي، حول علامة ترقيم تَخاذَل الطبّاع في وضعها، ألومه على إهماله نفسه، كتاباته، حياته، يُجيب في رأسي، تظهر لازمة من لوازمه، نبرة حادة معروفة، يسلّط عباراته بشدة.

أقفل الكتاب، أخرج باتجاه شارع الخليج، تقودني سيارتي إلى مبنى مكتبه، أسير إلى المصعد، أتخيّل أنني على موعد معه، أطرق بابه الخشبي، لا صوت في الجهة الأخرى، أطرق مرة أخرى، أغلق عينيّ، ينفذ سمعي إلى الداخل، لا إجابة، أطرق بعصبية، بشدة، بقوة. لا (حيّاك) مرة أخرى".

منظور تخييلي

وأشار النصرالله لمن يعرف ظلال الكلمة الراسخة "حياك" وصاحبها المعروف بين محبّيه؛ بتمهيد الرواية الذي دوّن فيه: "هذه رواية مغزولة بالافتراضات والاعترافات والوقائع والتاريخ، وبعض الأقاويل والصحف والأحلام؛ فإن أحداثها تحتمل الخيالات أكثر من الحقائق"، ونوّه الشاعر اللبناني عباس بيضون بالرواية معلقاً: "براعة لافتة وقدرة أدبية".

السرد في الرواية يدمج الملامح الشخصية وبعض التفاصيل الراسخة بتقنية سردية مبتكرة تفتح أفقاً تأويلياً رحباً، مما يتيح للكاتب تجاوز التوثيق المباشر ليعيد تشكيل الفكرة عبر منظور تخييلي يوازن بين الذاكرة والخيال، والواقع والتمثيل الفني، أشارت دار الساقي إليها بهذه النبذة: "طفلٌ تخيّل النهرَ سجادةً خضراءَ... فسقطَ فيه.

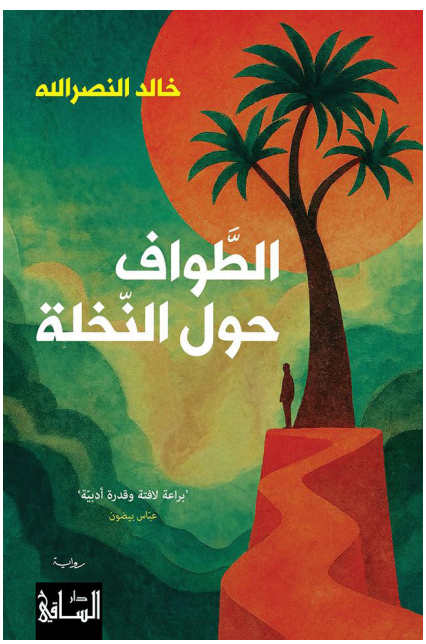

منذ تلك اللحظة، يبدأ طَرَفة رحلة حياته مطارَداً بشغف الاكتشاف.

في مكبسِ تمور مهجور، يعثر ابنُ السنوات الأربع على كتاب ساحر، فتشتعل شرارةُ حبّه للقراءة.

يتعلّم فكَّ الحروف بنفسه، ويدهش الجميعَ بذكائه، حتّى صار أقرانُه يلتفّون حولَه ليستَمعوا إلى قصصِه.

ينطلق على درّاجته الهوائيّة ويجوب البصرة ليحظى بكتاب أو مجلّة أو لحظةٍ مسروقة في السينما.

لكن حين يهدّد المرضُ بصرَ الأب، يتدرّب طَرَفة على أن يكون عينَي أبيه، ويندفع إلى العمل باكراً لتأمين المدخول. ومع تنامي شعوره بالرفض والغضب، يجد نفسَه منغمساً في العمل السياسي ويقود اعتصاماتٍ في الشوارع.

قصيدة واحدة كتَبَها، كانت كفيلةً بأن تدفعه مباشرةً إلى قلب العاصفة".

خالد النصرالله

صدر له العديد من الروايات، من بينها "الخط الأبيض من الليل"، التي تأهل عنها إلى القائمة القصيرة لـ «الجائزة العالمية للرواية العربية» (2022)، ورواية "الدَّرَك الأعلى"، التي وصل عنها للقائمة الطويلة لـ «جائزة الشيخ زايد» (2017).

إضافة إلى رواياته "يوم الحدث - 24 ساعة استثنائية"، (2008) - "الحقيقة لا تقال"، (2009) - "هرطقة"، (2009) - "زاجل"، (2013) - "كويتي من كوكب آخر"، (2007) - "التجربة الإنجليزية"، (2008)، فضلا عن المجموعة القصصية "المنصة" الصادرة عام 2011.

إسطنبول تحتضن ندوة شعرية وأدبية: فلسطين في قلب سعاد الصباح

شهدت صالة أوراسيا في مركز يني كابي للمعارض بإسطنبول تنظيم ندوة ثقافية مميزة بعنوان «فلسطين في وجدان د. سعاد الصباح.. شعراً ونثراً وفعلاً»، وذلك ضمن فعاليات معرض إسطنبول الدولي للكتاب العربي الذي أقيم الشهر الماضي، بتنظيم من دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع، وبمشاركة نخبة من الكُتّاب والشعراء والإعلاميين.

حضر الندوة وتحدث فيها كل من الإعلامية والباحثة هالة هلال، والإعلامية والناشطة في الشأن الفلسطيني، أنسام أبوعودة، ومدير بيت فلسطين للشعر الشاعر سمير عطية، ومدير دار سعاد الصباح للثقافة والإبداع، الكاتب والشاعر علي المسعودي، حيث تطرّقوا جميعاً إلى الجوانب المتعددة التي تجلّت فيها القضية الفلسطينية في شعر وأدب ومواقف د. سعاد الصباح.

القلم.. البندقية

استهلت الإعلامية أنسام أبوعودة كلمتها بعنوان «سعاد الصباح... حين صار القلم بندقية»، مؤكدة أن د. سعاد الصباح اختارت أن تكون الكلمة سلاحها في مواجهة الاحتلال، فحوّلت القلم إلى أداة مقاومة، والمقال إلى منبر للتعرية، والقصيدة إلى ملحمة.

وسردت أبوعودة نماذج من مقالاتها الجريئة، ومنها مقالها الشهير «إسرائيل على شواطئ قرطاج»، الذي كتبته عقب قصف حمام الشط في تونس عام 1985، ومقال قتلة بالوراثة الذي فضحت فيه الطبيعة الإجرامية للاحتلال.

من جانبها، تناولت الباحثة هالة هلال البُعد القومي في شعر وكتابات سعاد الصباح، مركزة على حلم الوحدة العربية الذي ظل يرافقها رغم هشاشة الواقع. واستشهدت بقولها: «إنهم يتفاوضون على كل شيء... إلّا أن يكونوا أمة واحدة»، مؤكدة أن الشاعرة رأت في الوحدة شرطاً أساسياً لتحرير فلسطين».

أما الشاعر سمير عطية فقد تحدّث عن دور سعاد الصباح الشعري والأدبي في مناصرة فلسطين، معتبراً أن قصائدها كانت تلتقي في معناها وروحها مع إرث القصيدة الفلسطينية المقاومة.

واختتم الندوة المسعودي، الذي استعرض جهود الشاعرة د. سعاد الصباح العملية في نصرة القضية، إلى جانب دورها الأدبي، وأشار إلى دعمها للمبادرات الثقافية والفنية التي تحمل رسالة فلسطين، وإلى رعايتها لمسابقات إبداعية أفسحت المجال أمام الشباب لتجسيد فلسطين بالكلمة والصورة.

كما قرأ المسعودي مختارات من قصائدها التي تغنّت بالقدس ورسمت ملامح الحلم العربي، مؤكداً أن كلماتها لا تزال تحافظ على وهجها وحضورها في وجدان القراء والمبدعين.

ضمن 9 روايات في فئة الروايات المنشورة

«سنة القطط السمان»

إلى القائمة القصيرة في «كتارا»

أعلنت المؤسسة العامة للحي الثقافي في الدوحة - قطر، وهي المنظمة لجائزة كتارا للرواية العربية، وصول رواية «سنة القطط السمان» للروائي الكويتي عبدالوهاب الحمادي إلى القائمة القصيرة لدورة 2025، في فئة الروايات المنشورة التي ضمت 9 روايات هي «بيت من زخرف» للروائي إبراهيم فرغلي (مصر)، «بوصلة السراب» للروائي أحمد الرحبي (سلطنة عمان)، «جرح على جبين الرحالة ليوناردو» للروائي ثائر الناشف (سورية)، «عمى الذاكرة» للروائي حميد الرقيمي (اليمن)، «تنهيدة حرية» للروائية رولا خالد غانم (فلسطين)، «ساعة نوح» للروائي سفيان رجب (تونس)، «ليس بعيدا عن رأس الرجل - عزيزة ويونس» للروائي سمير درويش (مصر)، «سنة القطط السمان» للروائي عبدالوهاب الحمادي (الكويت)، وأخيرا رواية «الطاهي الذي التهم قلبه» للروائي محمد جيعيتي من (فلسطين).

وتمثل رواية «سنة القطط السمان» العمل الكويتي الوحيد في القائمة، لتكون بذلك الصوت الكويتي الأبرز في المنافسة على واحدة من أرفع الجوائز الأدبية في العالم العربي.

غليس قدّم «موسيقا وأوزان الشعر» في الرياض

د. عبدالله غليس

شارك الباحث الأكاديمي في اللغة العربية، د. عبدالله غليس، في فعاليات جمعية الأدب المهنية التابعة لوزارة الثقافة السعودية، حيث نظمت جمعية الأدب المهنية بعض الورش والدورات المتخصصة في اللغة العربية.

قدّم غليس محاضرتين في أوزان الشعر، تضمنتا ورش عمل بعنوان «موسيقا الشعر أساسيات في الأوزان والتفاعيل".

يُذكر أن د. غليس متخصص في مجال أوزان الشعر وقوافيه، وله فيها مؤلفات منها «المرجع الوافي في الأوزان والقوافي»، كما أنه فاز بجائزة "كنز الجيل"، التي يقدمها مركز أبوظبي في الإمارات، وصدر له كتاب بعنوان «الأبنية العروضية لمطالع القصيدة العربية»، و«البنية الإيقاعية في شعر مصطفى التل».

وأقيمت الفعاليات في مدينة الرياض خلال يومين متتاليين، وحضرها عدد من المتخصصين والشعراء، وتضمنت المحاضرة مقدمة في علم الأوزان وتاريخه وفائدته، ثم تمهيد لمعرفة الأسس التي يقوم عليها هذا العلم، وطريقة تعلّمه، ثم عرض لبحور الشعر وأنواعه.

«منطقة رمادية».. من الخوف بدأت الأسئلة الإنسانية

منذ أن بدأ الإنسان يحوك الظلام بالحكايات، كان الرعب أقدم الفنون وأكثرها التصاقاً بالخيال الجمعي، في هذا السياق يبرز الكاتب الكويتي ماجد القطامي، الذي اختار أن يكرّس تجربته لكتابة الرعب بمعناه الإنساني والفلسفي، فهو لا يرى في الرعب مجرد مشاهد تهويل، بل يعتبره أداة لفحص تشوهات الذات، وكشف أعماقها المسكوت عنها.

وحول روايته "منطقة رمادية" الصادرة عن دار الفراشة 2024؛ قال: "في هذه الرواية، (المكونة من شطرين)، يجد القارئ نفسه أمام حكاية غريبة، أو كما نسميها في بلدنا "سالفة" حدثت لشخص وجد نفسه أمام اقتحام صادم من المجهول، في مكان ناء. بدأ بنقطة ضوء مخايلة في سماء الليل، ومعها توالت سلسلة من الأحداث والأحلام الغامضة، عجز ذهنه المتلبد بغيوم الشك والقلق، عن تفسيرها.

في بادئ الأمر حاول تجاهلها، لعدم منطقيتها، غير أنها غدت أكثر ظهورا، وتأثيرا، وإبهاما، إلى الحد الذي فقد عنده القدرة على تمييز ما هو خيالي مما هو حقيقي، فاستحالت لغزا غير قابل للحل.

سعى أن يحله باللجوء إلى إمكانيات الإنسان المعاصر، قارب العلم بجفافه وواقعيته، ناشد الدّين بمطلقيته وثباته، بل وحتى خاض غمار الخيال، رغم استحالة قبوله في وضعه هذا. غير أن اللغز ظل فيما وراء فهمه ومنطقه. في نطاق المجهول، لا يمكن إعطاؤه إلا تصورا بعيدا عن الرشد.

حتى أتت اللحظة، التي تحولت فيها كل تلك الرؤى، الأحلام، المشاهد، الضجة المبهمة، الأضواء الغامضة، وحتى الأفكار إلى كابوس رهيب أطاح بسلامه العقلي والنفسي، وتحولت حياته إلى جحيم بفعل الخوف الذي أخذ ينخر عميقا في روحه، ودفعه إلى الانهيار.

ولإنقاذ روحه المهترئة بفعل الخوف المطلق، وانتشالها من هاوية الجنون، خاض غمار رحلة إلى وجهة بعيدة جدا، حيث مكان يتوارى فيه كل من واجه ذلك المجهول، طارقا بابا جديدا، سعيا وراء أمل واهٍ بالتعافي من كربه الكبير، وباحثا عن تفسير مقنع لما يجري له، ليكتشف أن الوصول إلى هدفه قد يتطلب منه أن يغوص في الأعماق المظلمة لنفسه، ويواجه شياطينه الداخليين، ليعرف السبب وراء كل تلك الأهوال.

هذه قصته، شرخ في جدار، إذا صح التعبير، تقدّم فرصة نادرة لرؤية ما وراء الواقع، بتصوّر يمكن أن يغيّر رؤية الإنسان لمكانه في العالم بشكل جذري.

اختيار صالح الغريب وأمل عبدالله لجائزة «المبدعين الخليجيين»

أعلن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب اختيار الباحث المتخصص في مجال النقد الأدبي صالح الغريب، والإعلامية القديرة أمل عبدالله، للتكريم بجائزة «تكريم المبدعين الخليجيين»، تقديرا لما قدّماه من إسهامات نوعية في مجالات الثقافة والفنون والإعلام، ولدورهما البارز في إثراء المشهد الثقافي الكويتي والخليجي.

وذُكر في بيان صحافي إن وزير الإعلام والثقافة وزير الدولة لشؤون الشباب رئيس المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عبدالرحمن المطيري، اعتمد اختيار الشخصيتين المكرّمتين لعام 2025 ضمن التحضيرات الجارية لاحتفالية تكريم المبدعين السنوية.

وأوضح أن الاحتفالية تستضيفها دولة الكويت هذا العام ضمن الاجتماع الـ 29 لوزراء الثقافة بدول مجلس التعاون، المقرر عقده في أكتوبر المقبل، تزامنا مع اختيار دولة الكويت عاصمة للثقافة والإعلام العربي لعام 2025.

وأكد المجلس أن هذا التكريم يأتي تجسيدا لنهج ثابت في الاحتفاء برموز الإبداع الكويتي والخليجي، وتقديرا لمسيرات مهنية حافلة بالعطاء أثرت الساحة الثقافية والفنية والإعلامية، وأسهمت في ترسيخ الهوية الثقافية وتعزيز الحضور الخليجي في المحافل العربية.

«كُن تمثالاً» تحصد جائزة «أفضل نصّ» في جرش

فضة المعيلي

أعلنت لجنة تحكيم مهرجان المونودراما العربي، ضمن فعاليات مهرجان جرش للثقافة والفنون في دورته الـ 39، نتائج تقييم العروض المسرحية المشاركة، حيث حصدت الكاتبة تغريد الداود جائزة أفضل نص مسرحي عن مسرحيتها «كن تمثالاً».

وبهذه المناسبة، أعربت الداود عن سعادتها، قائلة: «هذا الفوز دافع كبير لمواصلة الكتابة المسرحية، وتتويج لرحلة من العمل والتأمل في تفاصيل النص المسرحي. كل جائزة تمثّل مسؤولية جديدة، وتُعد تأكيداً على أن الكلمة الصادقة تصل وتؤثر».

وحول قصة المسرحية، أوضحت أن «نص المونودراما يدور حول شخصية تمثال في متحف يتحرّك فجأة، ويحاول أن يتواصل مع البشر الذين يشاهدونه خلف حاجز زجاجي، بعد أن يطرح عدة أسئلة يستفسر فيها عن سبب وجوده بهذا المكان، ليصل في النهاية إلى تساؤل أكبر من التمثال بيننا».

وذكرت أن النص جاء بالتعاون مع فرقة فن توك من البحرين، وأخرج العمل الفنان البحريني جاسم طلاق، وقام بتمثيله الفنان صادق عبدالرضا، و«مثّل هذا العمل البحرين في مهرجان جرش للثقافة والفنون». تجدر الإشارة إلى أن الكاتبة الداود سبق أن حصلت على العديد من الجوائز المسرحية، من أبرزها: جائزة أفضل نص لمسرحية «غصة عبور» في المهرجان المسرحي الخليجي الـ 14 بالرياض، وجائزة الدولة التشجيعية في الكويت لعام 2017، وجائزة أفضل نصّ عربي في المسابقة التي نظمّتها الشارقة بالإمارات 2016.

إصدارات

عنوان الكتاب:
تاريخ الفرق الشعبية في الكويت
نوع الكتاب: دراسات
الكاتب: حمد الحمد
دار النشر: منشورات حمد الحمد ومكتبة راكان

عنوان الكتاب:
ديوان الشاعر عبدالواحد نجم
تحقيق: محمد الفارس
النوع: دراسة وقصائد
دار النشر: ذات السلاسل-آفاق

عنوان الكتاب:
أسواق الأدب
نوع الكتاب: مقالات
الكاتب: ندى الرفاعي
دار النشر: دار كليم للطباعة والنشر

عنوان الكتاب:
الأنوار البهية
في سيرة سيّد البشرية
نوع الكتاب: دراسات
الكاتب: خالد طعمة الشمري
دار النشر: منشورات أطلال

إسماعيل فهد إسماعيل وعلي السبتي.. رحلا ولم يغيبا

إحداثيات «الذكرى».. في الهواء الطلق

في الذكرى السابعة لرحيل عميد الرواية الكويتية، إسماعيل فهد إسماعيل، نستحضر إنساناً عاش الكتابة كرحلة وجود، وحوّل الرواية إلى وطن يتجاوز الجغرافيا، «الإنسان المتجاوز للزمن والعابر للأجيال»، كما عبّر الشاعر البحريني قاسم حداد، بمقاطع من شهادة ذاتية.

وإلى جوار هذا الظل الوارف، نسترجع حواراً دار بينه و«شاعر الهواء الطلق» كما لقّبه إسماعيل، ورائد الشعر الحديث في الكويت الراحل علي السبتي.

بين الشهادة التي تنطق بصدق الذات، وصوت السبتي بعفويته اللامحدودة، نترك المساحة هنا بين الرواية والشعر، الغياب والحضور، الأدب والذاكرة. والكويت بينهما حديث نابض بالحب والخوف وأنفاس الحرية.. ما قاله إسماعيل عن «إحداثيات زمن العزلة»، وما بثّه السبتي عن البقاء في الكويت.

"شهادة ذاتية" *

متى يبلغ الكاتب سنّ نضجه؟!.. في صيف عام 1991م.. وكنت قد بلغت الحادية والخمسين، أزمعت أن تضع حلمك - المختلف عن حلم حنا مينا شكلاً - موضع التنفيذ. أشهر الاحتلال بعدما عايشتها، دخان حرائق آبار البترول ما زال يحجب سماء الكويت، وكان أن شددت كتبك وأوراقك وجواز سفرك باتجاه الشرق الأبعد.

اتخذت من مكان هادئ في الفلبين مقراً، مخلّفاً كل ما له صلة بك وراء ظهرك.. بدءاً.. رأيت الكويت - من هناك - أجمل، ذكرى الأرض وهي تتخلى عن شوائبها المترتبة على فعل بشري. هروبٌ إلى الكتابة، أم مجاهدة لتحقيق ذات هجين؟!.. ستة أعوام بلياليها، وكان أن جاءت "إحداثيات زمن العزلة".

عزلتان، إحداهما عن الوطن، لكّنك حيثما ولّيت شأنك يبقى الوطن تحت جلدك. إذ المكان البديل أشبه بالفتيل.. قابل لتنكرك عليه.. ليس إحساساً بالغربة، لكنه أخذٌ بالخواء، ومن ثم لا مناص من أن تقفل عائداً.

هل كان حنا مينا أرهف إحساساً بما هو مختفٍ تحت جلده، فاختار لحلمه أن يجيء على مرمى النظر من ساحل وطنه؟!

بين إسماعيل والسبتي.. في فضاء السيرة **

علي السبتي، علامة فارقة من علامات رابطة الأدباء في الكويت، ما إن يرتاد الواحد مبنى الرابطة، لسبب من الأسباب، في أيّما مساء، إلا ويجد السبتي في استقباله هناك. ابتسامته الواسعة الآخذة بوجهه كله، والتي لا تخلو من محبة خالصة للناس، للحياة، للأشياء، وصوته الجهوري بطبقته العريضة اللافتة للآذان:

- "حياك"!

سألته ذات مساء، بعدما وُفّقت إلى أن أختلي به في إحدى قاعات الطابق الأول من مقر الرابطة:

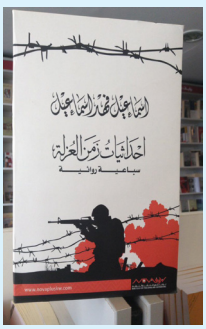

- يبدو لي، من خلال وجودك اليومي المنتظر هنا، أنك لست من محترفي السفر خارج الكويت!

تشاغل عن إجابة سؤالي مباشرة بأن بدأ يصب لنفسه قدح شاي من برّاد توسّط جلستنا، مما دفعني إلى أن أستحثه على طريقتي:

- الدليل أنّي أراك موجودًا هنا طوال أشهر السنة، ومنذ سنوات لا يحضرني عددها!

عقّب بتسليم: سؤال مشروع!

أخذ بفمه رشفة شاي، وأضاف بعد ثوانٍ من تأمُّل: كنت أعشق السفر.

هدفت لاستفزازه، تساءلت: كنت؟!

لم يتريّث عند تساؤلي، وتابع: اعتدت - في الماضي - ألا أفوت فرصة لـ...

أبقى على جملته مفتوحة، راودتني نفسي لأن أستفزه قليلاً، فسألته:

- هل هو عامل السن؟!

أفلَت ضحكة لا تخلو من صخب، وأجاب:

- عامل السن - كما هو مفترض لدينا نحن الكويتيين - يؤدي إلى عكس ما ذهبت إليه.

اختزلت فضولي: إذن؟!

أصدرها كما الزفرة الحرّى:

- إيه!!

أشعل سيجارة، وشرد بعينيه وراء دخانها برهة، وصلني صوته مشوبًا بنوع من حيرة مبهمة:

- البعض ممن يسمعون إجابتي عن مثل سؤالك هذا، يستعصي عليهم الإقرار بالتصديق!

طمأنته: أنا أصدق.

تشرّبت صوته بحنين غامض: منذ الثاني من أغسطس إياه.

اغتنمت فضولي، وقطعت عليه استرساله:

- هل كان السبتي موجودًا داخل الكويت عندما حدث الاجتياح؟

فاجأني رده: وما زلت.

الإجابة بما تحتمله من إحالات. رجوته: وضّح!

أشركني بنظرة عينيه، وتابع: لعلّي غريب الأطوار.. أو الأفكار.. أو سمّه ما شئت.

أومأت له برأسي بما يعني استعدادي للسّماع، وواصل:

شيء ما.. هاجس يخصّني، يظلّ يسكنني.. يستحوذ على اهتماماتي ومشاعري كلما أزمعت سفراً خارجاً.

صمت لثانية أو اثنتين.

- الأمور بما لا تحتمل تفسيراً منطقياً محدداً..

نمّ فمه عن مشروع ابتسامة واهنة.

- في اللحظة التي أحزم بها حقائبي استعدادًا للسفر.. أعدل عن السفر.

لم أشأ أن أقطع عليه إفضاءه، فلُذت بصمتي.

استرسل بحنين يخالطه حزن مهيب:

- أحس - ولا أعرف بالتحديد لماذا - بأني لو فارقت الكويت.. فقدتها!

واجهني متسائلًا: عندك تفسير لذلك؟!

* مقطع من شهادة ذاتية مطولة في كتاب "إسماعيل فهد إسماعيل.. ارتحالات كتابية"، د. مرسل العجمي، أستاذ الأدب والنقد الحديث في جامعة الكويت - سلسلة كتّاب الرابطة (14).

** مقطع من كتاب "شاعر الهواء الطلق.. علي السبتي" - إسماعيل فهد إسماعيل - دار الحوار.